شـــ

الأدب ا

أ.أناهيد بنت عي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَـعُ بِــهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

/https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الجزء الرّابع

اللّقاء الثلاثون

الأحد: 2رجب 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا ممن اتبع سنّة نبيّه محمد -صلّى الله عليه وسلّم- فأحسن في الاتباع وقصد بذلك وجه الله فأحسن في حياته بالإخلاص وبالمتابعة، نسأل الله أن يتقبل جميع أعمالنا ويغفر لنا ذنوبنا ويكفر عنا سيئاتنا ويصلح قلوبنا ويرزقنا الصبر في الضراء والشكر في السراء -اللهم آمين-.

كنا انتهينا من الأبواب التي تتكلم عن صفة عظيمة من صفات أهل الإسلام أوصاهم بها الرب العظيم، وأوصاهم بها الرسول الكريم، هذه الصفة لها تجليات غاية في الوضوح في العلاقات الإنسانية، سيأتي الباب الذي سندرسه ويظهر فيه تجلي لهذه الصفة: صفة الرحمة.

55- بَابُ الْوَصَاةِ بِالْجَارِ

101- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابن أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ يَحْيَى ابن سَعِيدٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو بَكْرِ ابن مُحَمَّدٍ، عَنْ عَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: (مَا زَالَ جِبْرِيلُ صلّى الله عليه وسلّم يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ).

شرحُ الكلمات:

- ظننت: اعتقدت وترقبت.
- يوصيني بالجار: يأمرني بحفظ حقه والإحسان إليه ودفع الأذى عنه.
- يُوَرِّثه: يأمر بتوريث الجار من جاره بأن يجعله شريكًا في المال مع الأقارب الآخرين.

في هذا الحديث أخبر -صلّى الله عليه وسلّم- بأحد آثار الرحمة في العلاقات، من آثار الرحمة في العلاقات أن جبريل -عليه السلام- كرر عليه الوصية بالجار، والجار هو القريب من الدار سواء كان من النسب أو كان أجنبيًا مسلمًا، بل لو كان حتى كافرًا، لا زال جبريل -عليه السلام- ينزل بالوصية، وأكيد أن جبريل إذا نزل بالوصية سيكون هذا من شرع الله، فكرر عليه يوصيه بالإحسان إليه وبرعاية ذمته وبالقيام بحقوقه وبمواساته في حاجاته، بل وأعظم من ذلك الصبر على أذاه.

يمثل النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كثرة الوصية فيقول: لكثرة ما أوصى جبريل -عليه السلام- بالجار ظن أن الجار سيكون له حقوق تقترب من حقوق الأقرباء، وهذا الحديث يؤيده

ما ورد في كتاب الله في سورة النساء لما ذكرت الحقوق فبدأت: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ} (الآية: 36) حتى فصل أنواع الجيران إشارة إلى اهتمام الشريعة ببث الرحمة والرفق والأخلاق الحسنة بيننا.

وهذه هي طريقة الشريعة: الاعتناء بمن حولنا فأوصى الله بالجار القريب والبعيد بالإحسان إليه وكف الأذى، وهذا الحديث يبين لنا شدة الوصية التي بلغها إياه جبريل عن الله -عزّ وجلّ-.

ومن هذا أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال لأبي ذر: (إذا طَبَخْتَ مَرَقَةً، فأكْثِرْ ماءَها، وتَعاهَدْ جِيرانَكَ)[1] وقال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ)[2] وفي لفظ آخر: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ)[3] وفي لفظ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إلى جارِهِ)[4] فالجار له حق، والواجب الإحسان إليه وكف الأذى عنه وأنواع الأذى كثيرة، الله يعين ويكفي المسلمين تحريش الشيطان بينهم.

فِقهُ الحديث:

1) بيان عظم حق الجار وفضل الإحسان إليه.

2) فيه جواز الطمع في الفضل إذا توالت النعم.

3) فيه جواز التحدث بما يقع في النفس من أمور الخير.

هنا استفاد فوائد أخرى غير بيان عظم الجار وبيان فضل الإحسان إليه، النبي -صلّى الله عليه وسلّم- طمع في أن يكون الجار له شيء من الورث حبًا في كون الناس يحسنون إلى جيرانهم، وتحدث النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بهذا يعلمنا جواز التحدث بما يقع في النفس من أمور الخير، فهو وقع في نفسه أنه ظن هذا الشيء وهو أمر خير؛ أن يحب أن يكون الجار له شيء من الميراث وهذا يبين لنا أن نواسي الجار ونعطيه مما أعطانا الله ولا نبخل عليه لأنه من كثر الوصية وصل النبي -صلّى الله عليه وسلّم- تصور أنه سيجعله في الميراث.

الحديث الذي يليه سيؤيد هذا المعنى أيضًا:

102- حَدَّثَنَا صَدَقَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرٍو، عَنْ نَافِعِ ابن جُبَيْر، عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى

---

[1] () أخرجه مسلم (2625)
[2] () أخرجه البخاري (6018)
[3] () أخرجه البخاري (6018)
[4] () أخرجه البخاري (6019)

جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ).

هذا الحديث أيضًا فيه معاني تؤيد ما مضى بزيادة هذا الأمر العظيم، وهو ربط الأخلاق بالإيمان، تكرار الإيمان بالله واليوم الآخر هذان الركنان اللذان يجمعان الإيمان كله؛ لأن من كان يؤمن بكمال الله واطلاعه وعظمته وأنه هو الرزاق وأننا إليه راجعون وسيحاسبنا أتى بالإيمان كله، أنت تؤمن بالله وكماله وعظمته وأردت التوجه له وأحببت رضاه وأيقنت أنه سيحاسبك يوم القيامة، إذًا مطلوب منك أن تحسن إلى جارك وتكرم ضيفك وتقول خيرًا أو تصمت، هذا إرشاد إلى التحلي بالآداب والأخلاق الإسلامية وربطها بالإيمان.

وهذا الأمر لا بد أن يكون على بالنا؛ أن الأخلاق في حقيقتها قربى إلى الله، وأهل الإيمان يتخلقون ليتعبدوا لا ليتملقوا، والأخلاق في الشريعة الإسلامية ارتبطت بالإيمان ولم تحدثنا بغير ذلك، ولم تشجعنا على الأخلاق من أجل أن يكون لنا مكان عند الناس، إنما الأخلاق نوع من أنواع التقرب إلى الله.

من كان يؤمن بالله الذي خلقه ورزقه إيمانًا كاملًا، ويؤمن باليوم الآخر الذي إليه معاده وسيكون فيه جزاؤه على عمله فليكن حسن الأخلاق، وليبدأ بالأقرب؛ الجار، الضيف الذي دخل بيتي؛ قربى إلى رب العالمين، وأيضًا فليقل خيرًا ليغنم أو ليصمت ليسلم، يسكت عن الشر فيسلم، ولو فتحنا باب آفات اللسان في النقاش لن ننتهي -اللهم سلم، سلم- والشيطان يحب أن يجد من الإنسان غفلة فيجري على لسانه ما لا يليق -والله المستعان-.

ما أطيب هذه الشريعة التي تزيد الألفة والمودة بين المسلمين وتجعل من الإيمان: الإحسان إلى الخلق؛ لذا كلما قرأنا وتلونا الآيات الدالة على حسن الإسلام، نتذكر هذه النصوص ونتذكر أن هذا الدين هو الدين الحسن، بل هو أحسن الأديان ونتذكر كم منّ الله -عزّ وجلّ- علينا أن جعلنا من أهل هذا الدين، عندما نستفتح في الفاتحة: الحمد لله رب العالمين فليكن القلب ممتلئًا بالثناء على الله أن منّ علينا بتعريفه نفسه لنا وبإرسال رسوله وبتعليمنا هذه الآداب.

لذا هناك كلام جميل على الكلام عن شرح الصدر بالإسلام في سورة الزمر، حول أن الإنسان يشرح صدره بالإسلام لما فيه من هذه الخيرات والآداب، إن شاء الله نضع المقطع الذي فيه شرح لهذه الآية نسمعه وننتفع به.

فِقهُ الحديث:

1) إلحاق الضرر بالجار قولًا أو فعلًا منافٍ لكمال الإيمان ومناقض لصفات عباد الرحمن.

ننظر لهذه الرواية والرواية الأخرى التي فيها: (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ) المسألتان متقابلتان، ينقص إيمانك عندما تكون عندك الفرصة أن تحسن إلى جارك فلا تحسن له، أو تؤذيه، ينقص إيمانك وتخرج بذلك من صفات عباد الرحمن الذين أتوا إلى آيات القرآن فاتبعوا أحسن ما أُمِروا به.

2) للضيف حق، فينبغي على المسلم أن يقري ضيفه ويستقبله بطلاقة الوجه ويعجّل له الوجبات الغذائية ويقوم بخدمته بنفسه.

هذا كلام جميل لأن الضيف إذا عومل كما يحب الله انتفع الإنسان من ضيفه، فالضيف باب للإطعام حتى لو كان غنيًا، يصبح له حقوقه لو حل عليك ضيفًا، ومن باب آخر التبسم له والترحيب به كله مكتوب، تكتبه الملائكة فلا تتعامل مع هذا الموقف بالمجاملات، بل تعامل معه كما تتعامل مع التكبير والتسبيح والتهليل، عندما تقول: (مرحبًا) للضيف وأنت قلبك منشرح وتريد من رب العالمين أن يسمعك في تلك اللحظة وأنت تأتمر بأمره في الضيف (مرحبًا) هذه تكتب في الموازين، وهذا كان أصلًا من حال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-.

كلمة (مرحبًا) -سيأتينا إن شاء الله عندما ندرس الأدب المفرد- تقول عائشة -رضي الله عنها-: جاءت فاطمة تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- فقام إليها وقال: (مَرْحَبًا بِابْنَتِي)[5] المقصود أن هذه الكلمات الطيبة وانشراح الصدر والتبسم كلها تأتي بالأجور.

هنا يأتي سؤال: من هو الضيف؟ خصوصًا أن الشريعة أذنت أن يأتي طارق يطرق على الباب ولا يفتح له، فكيف نجمع بين الأمرين.

الأصل في مسألة الضيافة هو من يأتيك من خارج المكان الذي أنت فيه، هذا يأخذ أحكام الضيف، إذا أتاك جماعة من المدينة وطرقوا بابك ينطبق عليهم حكم الضيف ونقص إكرامهم نقص في الإيمان، ومن في داخل المدينة له حكم الضيافة والاستقبال والترحيب ويدخل هذا تحت الأخوة وصلة الرحم والإحسان إلى الجار لكن ليست هي الضيافة المقصودة في الأحكام.

3) فيه استحباب ترك الكلام المباح خوفًا من انجراره إلى المكروه أو الحرج.

---

[5]() أخرجه البخاري (3623، 3624)

هناك كلام لا أعرف إن كان خيرًا أو شرًا لكن أعرف أني لو بدأته يمكن أن يدخل في قضايا ومعاني أخرى فالأفضل ترك الكلام المباح خوفًا من الدخول في كلام فيه حرج.

4) الصمت خير من الكلام الذي لا فائدة فيه.

إذا لم تستطع أن تقول شيئًا في المجلس له فائدة فالخير أن تصمت لكن الكلام شهوة -والله يعين- ويجعلنا نؤدب أنفسنا في هذا الباب الخطير علينا.

56- بَابُ حَقِّ الْجَارِ

103- حَدَّثَنَا أَحْمَدُ ابن حُمَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن فُضَيْلٍ، عَنْ مُحَمَّدِ ابن سَعْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا ظَبْيَةَ الْكَلاَعِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ الْمِقْدَادَ ابن الأَسْوَدِ يَقُولُ: سَأَلَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- أَصْحَابَهُ عَنِ الزِّنَا؟ قَالُوا: حَرَامٌ؛ حَرَّمَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. فَقَالَ: (لأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ). وَسَأَلَهُمْ عَنِ السَّرِقَةِ؟ قَالُوا: حَرَامٌ؛ حَرَّمَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ، فَقَالَ: (لأَنْ يَسْرِقَ مِنْ عَشَرَةِ أَهْلِ أَبْيَاتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ بَيْتِ جَارِهِ).

فِقهُ الحديث:

1) فيه تحذير عظيم من أذى الجار بأيّ فعل أو قول.

2) من حق الجار على الجار أن لا يخونه في أهله وماله.

3) للجار حق عظيم يجب حفظ جواره، ومراعاته بإيصال ضروب الإحسان إليه حسب الطاقة، ودفع الضرر عنه.

4) وفيه أنَّ بعض الزنا أكبر إثمًا وأقبح وأفحش من البعض الآخر.

عندما ننظر إلى هذا الحديث نجد أمرًا محيرًا! وهو استعظام الكبائر بسبب ملابسات تحيط بالكبيرة، الأمر المحيّر: لماذا لهذه الدرجة عندما تحيط بالزنا ظروف يصبح أعظم؟ سيتبين حسن هذه الشريعة في هذا الأمر.

الزنا -الله يعيذنا ويحفظنا ويحفظ أعراضنا جميعًا- من المؤكد أنه محرم في الشريعة لكن عندما تأتي ملابسات معينة تحيط بهذه الجريمة تجعلها أفحش وأعظم وأخطر وذنبها أكبر، الزنا بامرأة الجار فيه ثلاثة أمور خطيرة:

- الأمر الأول: أن هذا الجار قد أخذ جاره أمانة ولم يقع في قلبه له خيانة، المعنى: أنه استأمن جاره، فحين تأتي الخيانة من جهة الاستئمان تكون طعنة صعبة وخطيرة ومؤلمة تفقد الإنسان الثقة في كل أحد.

لذلك الخيانة من أصعب الأمور وحين تأتي من موطن أمان تكون غدر عظيم وطعنة لا تنسى فالخيانة من موطن الأمان قاتلة، فراعت الشريعة هذا الأمر واستقبحت هذه المسألة غاية الاستقباح.

- الأمر الثاني: قبّحته الشريعة وفظعته لأن هذا الموقف الذي بين الجار وجاره وامرأة الجار من المواقف التي يحصل فيها نوع من الاحتكاك والاطلاع ففحّشته ليهرب منه الإنسان هربًا، فقد تقع عين الجار عليها وهي تفتح الباب وما غطت وجهها أو ظهر شيء من جسدها، فليصبح بينه وبين هذه المشكلة مكان بعيد فعليه بغض البصر والالتزام وعدم التفكير في زوجة الجار أبدًا.
- الأمر الثالث: أن النساء نفسهم قد يكون عندهم حالة من التهاون فيحكون عن أزواجهم فتحصل حالة من تعرض المرأة للجار، المرأة ستخون زوجها وقد تتعرض للجار وقد يستسهل الجار المسألة.

فأرادت الشريعة أن تجعل هذا الباب عظيمًا وخطيرًا وأن تعظم وتستقبح هذه الجريمة وتبين الخطر فيها، فحق الجار ألا يخان، بل حق الجار أن يحسن إليه، فكانت أهم الخيانات أن يحصل نظر إلى عرضه.

ثم أتى الأمر الثاني وهو: السرقة وهذا من باب التعظيم وليس من باب التحليل، فكله حرام.

أعظم من أن يزني بعشرة نسوة أن يزني بزوجة الجار وكذلك السرقة فالجيران بينهم أشياء مشتركة فيمكن أن يلاحظه ويلاحظ أمواله فيمكن بكل سهولة أن يمكر به ويرسل صغيرًا يسرق مفاتيحه ويسرقه في ساعة من ليل أو نهار والناس غافلون، وصاروا يتعلمون طرق الجرائم بطريقة فظيعة، أو يسرق ماله أو أغراض له وضعت عند بابه، وهذه أمور تحصل.

البعض يرقب جاره ويسرق أغراضه عندما تتأخر المرأة في فتح الباب، هذه الجرائم حين تحصل تفقد المجتمع الثقة في بعضه، وتفقد المجتمع الألفة والمحبة ومن ثم تنقطع الصلات وتكثر العداوات ويجد الشيطان مرتعًا له.

عرفنا أن بعض الزنا أكبر إثمًا وأقبح وأفحش من البعض الآخر، ونفس الكلام يقال على السرقة، والقاعدة: إن الخيانة في موطن الأمانة جرم عظيم يحاسب عليه الإنسان أشد الحساب.

نعوذ بالله من الخذلان، نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجعلنا من المؤمنين المتقين الصادقين الراضين بما رزقهم رب العالمين، ترضى الزوجات بأزواجهم وأرزاقهم ولا تلتفت أبصارهن لغير أزواجهن وأرزاقهن، ونسأل الله -عزّ وجلّ- أن يحمي قلوبهن من التطلع لغير أزواجهن.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء الواحد والثلاثون

الإثنين: 3رجب 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا من أهل الإيمان والتقوى البارين بجيراننا المتقين ربنا فيهم ونؤمنهم كما أمرنا رب العالمين ولا نخون الله ورسوله ونخون أماناتنا، نعوذ بالله من الخيانة ومن الخائنين، اللهم جنبنا وأهلنا وذوينا والمسلمين جميعًا الخيانة، اللهم اجعلنا للأمانات حاملين ومؤدين ويوم القيامة من المرفوعين، نعوذ بالله أن يأتي يوم القيامة فينصب لنا لواء ويقال: هذه غدرة فلان -نعوذ بالله- اللهم سددنا وبارك لنا ويسر لنا وأعنا على القيام بالحقوق وقد كثرت علينا.

نكمل في هذا اللّقاء ما بدأناه من قراءة في (الادَب المُفرَد) وقد مر معنا الكلام حول الجيران واليوم إن شاء الله نكمل هذه الأبواب ..

57- بَابُ يَبْدَأُ بِالْجَارِ

104- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن مِنْهَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ ابن زُرَيْعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عُمَرُ ابن مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم: (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ).

هذا الحديث مر معنا نقاشه لكن ننظر لاسم الباب، في كل إحسان تبدأ بالجار، أول شيء تفكر أن تحسن له جيرانك، طبخت أعطهم، أتيت بأغراض والله موسع عليك -الحمد لله- اقسم لجارك معك وبهذا تجد خيرًا كثيرًا من عند رب العالمين يوسع عليك.

فِقهُ الحديث:

1) مضى شرحه، انظر اشرح الحديث رقم(101).

105- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن سَلامٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ ابن عُيَيْنَةَ، عَنْ دَاوُدَ ابن شَابُورَ، وَأَبِي إِسْمَاعِيلَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابن عَمْرٍو، أَنَّهُ ذُبِحَتْ لَهُ شَاةٌ، فَجَعَلَ يَقُولُ لِغُلامِهِ: أَهْدَيْتَ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ أَهْدَيْتَ لِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ؟ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم يَقُولُ: (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ).

شرحُ الكلمات:

- أهديتَ: أي: هل أعطيته شيئًا من لحم الشاة المذبوحة.
- الجار: يشمل المسلم والكافر والعابد والفاسق.

فِقهُ الحديث:

1) استحباب التهادي بين الجيران؛ لأن ذلك يورث المحبة ويزيد المودّة.

هذا نموذج من نماذج الانفعال مع أوامر النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وهذا الأمر معروف عندنا، لا إشكال فيه، لكن الناس يضعون كل شيء في المكان الذي يريدونه ويستشهدون بهذه النصوص على ما يريدون.

هذا النص نستشهد عليه في مكانه، ذُبحت لعبد الله ابن عمرو شاه فكرر على غلامه السؤال: أهديت لجارنا اليهودي؟ يلزمه بذلك، بهذا يُعلم أن الجار له حقوقه ولو كان من أهل الذمة، وهذا هو العنوان الصحيح، نبدأ بأنه جار ثم نقول: ولو كان من أهل الذمة فإن له حقوق لأن عبد الله ابن عمرو اعتمد على حديث النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وقد أوصى عمر -رضي الله عنه- من بعده من الخلفاء بأهل الذمة أن يوفى لهم عهدهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم، الجار له حقه حتى لو كان ذميًا ولو كان مسلم فحقه سيعظم.

نلاحظ كلمة: (أَهْدَيْتَ) فيها استحباب التهادي بين الجيران، أنت تبدأ بالهدية ولا تتكلف، أعطه مما عندك لأن ذلك يورث المحبة ويزيد المودة ويغيظ الشيطان؛ لذلك الهدايا لا بد أن يكون فيها حسن نية في التقرب للرحمن وإغاظة الشيطان لأنه يكره اجتماعنا وتآلفنا.

106- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن سَلامٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ الثَّقَفِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ يَحْيَى ابن سَعِيدٍ يَقُولُ: حَدَّثَنِي أَبُو بَكْرٍ، أَنَّ عَمْرَةَ حَدَّثَتْهُ، أَنَّهَا سَمِعَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ: سَمِعْتُ

رَسُولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم يَقُولُ: (مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَيُوَرِّثُهُ).

فِقهُ الحديث:

1) انظر شرح الحديث رقم(101).

وهذا قد مر معنا تأكيدًا لهذه المعاني وهذا الحديث تكرر بأسانيد مختلفة.

58- بَابُ يَهْدِي إِلَى أَقْرَبِهِمْ بَابًا

107- حَدَّثَنَا حَجَّاجُ ابن مِنْهَالٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو عِمْرَانَ قَالَ: سَمِعْتُ طَلْحَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: (إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا).

فِقهُ الحديث:

1) ينبغي مراعاة مشاعر الجار الأقرب لأنه يرى ما يدخل في بيت جاره من هدية وغيرها بخلاف الأبعد. وإن الأقرب أسرع إجابة لما يقع لجاره من الملمّات، ولا سيّما في أوقات الغفلة؛ ولذا هو أحق بالهديّة والعناية الفائقة به.

2) الاعتبار هو لقُرب الأبواب.

3) تقديم العلم على العمل؛ ولذلك سألت عائشة -رضي الله عنها- عن حكم المسألة قبل المباشرة في العمل.

نقرأ الحديث التالي لأنه بنفس المعنى ..

108- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن بَشَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن جَعْفَرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ طَلْحَةَ ابن عَبْدِ اللهِ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ ابن مُرَّةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِي جَارَيْنِ، فَإِلَى أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: (إِلَى أَقْرَبِهِمَا مِنْكِ بَابًا).

فِقهُ الحديث:

1) انظر شرح الحديث رقم (107)

هنا بلغ الأمر أعلى ما نتصوره من المراعاة لمشاعر الجيران، فهذا جاري وهذا جاري، إذا أردت أن أهدي أهدي للأقرب، إذا كان الأمر عندي واسعًا أُهديهم جميعًا لكن إذا كان الأمر ضيقًا أُهدي من هو أقرب إليّ وكلما كان أقرب كلما كان ألزم، والسبب: أن الجار سيرى أنك أعطيت الأبعد، والأبعد لا يراك عندما تعطي الأقرب، والأقرب هو الذي يجيبني حين أنادي وحين أحتاج إلى نجدة ينجدني، فهو الأحق بالصلة والقربى، وهنا ليس المقصود المقابلة لكن هذا واقع ما يحصل مع الجيران، إذًا لا بد أن نرعى هؤلاء الجيران ونعتني بهم ونهديهم ونهدي للأقرب باعتبار الباب، الذي بابه أقرب لنا يعتبر هو الأقرب.

الناس الآن يعيشون في مساكن تجمع عدد من الشقق في الدور الواحد، أقرب باب يصبح الأقرب وأنت قدر المستطاع وسّع على الجميع بما تستطيع، لكن هذا لا يمنعك إذا كان عندك قريب أن تعطي الأقرب، الأقرب وليس الأحب إليك، قد تكون الأحب إلى قلبيك في الطابق السادس! فعليك أن تسيري على السنة فتوسعي على الجميع وتعطيهم مما أعطاك الله.

علينا أن نعرف شيئًا غاية في الخطورة وهي الخروج من الأنا، هذا يفهمنا كيف أصلحت هذه الشريعة الأنفس في مقابل القوانين الوضعية التي وضعها الناس لأنفسهم في عاداتهم وتقاليدهم الأجنبية عن الإسلام، العلمانية المتوحشة التي جعلت الناس ما عندهم تراحم، وبينهم تعاقد، فعلى قدر العقد أعطيك!

59- بَابُ الأَدْنَى فَالأدْنَى مِنَ الْجِيرَانِ

109- حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ ابن حُرَيْثٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ ابن مُوسَى، عَنِ الْوَلِيدِ ابن دِينَارٍ، عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْجَارِ، فَقَالَ: (أَرْبَعِينَ دَارًا أَمَامَهُ، وَأَرْبَعِينَ خَلْفَهُ، وَأَرْبَعِينَ عَنْ يَمِينِهِ، وَأَرْبَعِينَ عَنْ يَسَارِهِ).

فِقهُ الأثر:

1) قد اختلف العلماء في حَدِّ الجوار على أقوال: فجاء عن علي رضي الله عنه: (من سمع النداء فهو جار)، وقيل: (من صلَّى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار)، وعن عائشة: (حَدُّ الجوار أربعون دارًا من كل جانب). وكل ما جاء تحديده عنه -صلّى الله عليه وسلّم- بأربعين، ضعيف لا يصح، فالظاهر أن الصواب تحديده بالعرف والله أعلم. (الألباني رحمه الله).

110- حَدَّثَنَا بِشْرُ ابن مُحمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنا عَبْدُ اللهِ، قَالَ: أَخْبَرَنا عِكْرِمَةُ ابن عمَّارٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَلْقَمَةُ ابن بَجَالَةَ ابن زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: (وَلاَ يَبْدَأُ بِجَارِهِ الأَقْصَى قَبلَ الأَدْنَى، وَلَكِنْ يَبْدَأُ بِالأَدْنَى قَبْلَ الأَقْصَى).

فِقهُ الأثر:

1) كلما قرب الجار زاد حقه على جاره الأقرب.

ورد في الحديث كيف نحدد الجيران: (من صلَّى معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار)، الصبح بالذات لأن الناس يكونون استيقظوا من نومهم وما خرجوا لمعاشهم بعد، لكن يمكن أن يصلي معك الصلاة بسبب أن معاشه هنا وليس بسبب أن بيته هنا.

رفع الحديث للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- لا يصح لكن هذا موقوف على الحسن، الأثر الذي نقله البخاري لم يرفعه إلى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- إنما هو موقوف على الحسن، ولا إشكال فيه فالجيران بالعرف يعرفون، لكن امتدت الجيرة اليوم ففي الزمن الماضي كان الجيران خمسة حولك أما اليوم في نفس البناية يكون أعداد كبيرة قد تصل إلى العشرين والثلاثين، والبنايات التي بجانبنا يمينًا ويسارًا فأصبحت المسؤولية أكبر، وللأسف أصبح التقاطع أكثر، وهذا مؤسف على الحقيقة.

لا تتصور أن المقصود بمعرفة الجيران كثرة الدخول والخروج عليهم لكن الصلة بالمعروف وكلما قرب الجار زاد حقه على جاره الأقرب.

60- بَابُ مَنْ أَغْلَقَ الْبَابَ عَلَى الْجَارِ

111- حَدَّثَنَا مَالِكُ ابن إِسْمَاعِيلَ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ السَّلاَمِ، عَنْ لَيْثٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: لَقَدْ أَتَى عَلَيْنَا زَمَانٌ -أَوْ قَالَ: حِينٌ- وَمَا أَحَدٌ أَحَقُّ بِدِينَارِهِ وَدِرْهَمِهِ مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، ثُمَّ الْآنَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ أَحَبُّ إِلَى أَحَدِنَا مِنْ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: (كَمْ مِنْ جَارٍ مُتَعَلِّقٌ بِجَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: يَا رَبِّ! هَذَا أَغْلَقَ بَابَهُ دُونِي، فَمَنَعَ مَعْرُوفَهُ!).

شرحُ الكلمات:

- دوني: أي: في وجهي.

فِقهُ الحديث:

1) فيه تأكيد عظيم لرعاية حق الجار، والحث على مؤاساته وإن جارَ؛ لأنه سبب للإتلاف والاتصال والتحابب والتوادد بينهما.

هذا الحديث يحملنا مسؤولية عظيمة أمام رب العالمين يوم القيامة، العلاقة بين المسلمين كانت مبنية على التواد والتراحم والمواساة، فكان حين يضع في جيبه دينار يفكر من مِن إخوته سيحتاجه فيعطيه، ثم الآن الدينار والدرهم أحب على أحدنا من أخيه المسلم! وهذه بداية الإحساس بالدنيوية التي تجعل الإنسان يحب الدينار والدرهم أكثر مما يحب الإكرام بها.

أنت تفرح أن معك مالًا حتى تواسي غيرك، ولا يقبل عليك محتاج وليس عندك، لا أن تفكر في شهواتك، المشكلة الكبيرة إحساسنا تجاه الدنيا وإحساسنا تجاه الأرزاق، الطمع في الدنيا وإحساسنا أن الرزق سيفر ولا يدري المسكين أنه كلما واسى وأعطى وأكرم وفرج الكرب وسد حاجة غيره؛ تُفرج عليه هو الأمور وتتوسع عليه ويصب الله في يده الرزق ويزيده قناعة، فالغني هو المستغني عن الأشياء أما الفقير فهو المحتاج طول الوقت، أما الغني فهو الذي استغنى لذلك ليس مثل القناعة كنز لأنها تحفظ عليك كرامتك فلا تكون عبد لأحد ولا متوسل ولا عينك في أحد ولا تترجى أحد.

هذا ابن عمر في ذاك الزمان يقول هذا الأمر -ولا حول ولا قوة إلا بالله- والأخ المسلم هو الجار أو الضيف ويبقى رابط الأخوة بينك وبينه إذا كان مسلمًا، ثم يستشهد بهذا الحديث الحسن لغيره، (كم) على التكثير، كم سيكون هناك جار يوم القيامة متعلق بجاره، يقول: هذا دخل وأقفل الباب وأنا محتاج ولم يسأل عني فمنع معروفه -والله المستعان-.

سيبقى هنا الكلام عن أنك يجب أن تكون خارجًا عن أنانيتك ونفسك ومعتنيًا بإخوانك وسائلًا عنهم وملاحظًا لحالهم وأحوال أبنائهم وأنهم لا يدخلون ولا يخرجون ووضعهم مضطرب، فكلما زادت ملاحظتك -ليس من باب أنك تراقبهم- تلاحظ أحوالهم لتوصل لهم الخيرات وليس لكي تتدخل فيما لا يعنيك -وهذا شرط-.

المقصود بالرعاية: ملاحظة حال الجار والتنبه له والحث على مواساته وإن جار، لا ننتظر أن نحسن لمن نميل إليه، نقوي إيماننا ونعامل ربنا ونرعى حتى هذا الذي لم يرعنا؛ لأنه سبب للإتلاف والاتصال والتحابب والتوادد بينهم، وكل هذا يحبه الله منا ويكرهه الشيطان منا.

في الباب التالي يأتي نموذج لمعنى أنه أغلق بابه دوني:

61- بَابُ لا يَشْبَعُ دُونَ جَارِهِ

112- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ ابن أَبِي بَشِيرٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابن الْمُسَاوِرِ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يُخْبِرُ ابْنَ الزُّبَيْرِ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ -صلّى الله عليه وسلّم- يَقُولُ: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ).

شرحُ الكلمات:

- وجاره جائع: أي: هو عالم بحال اضطراره، وقلة اقتداره.

هذه هي المشكلة، أنه يكون عالم بحال اضطراره وقلة اقتداره، في هذه الجائحة مثلًا.. هناك أناس نعرف أن حالهم قد تأثرت بسبب هذه الجائحة، فمن الواضح من حالتهم أن هناك إشكال عندهم خصوصًا في الأمور الأساسية مثل الجوع والبرد، فليس مؤمن كامل الإيمان يعيش لنفسه ولا يلحظ من حوله من مجتمعه، فلا يشبع المؤمن وجاره جائع، بل لا بد أن يحصل التفقد وما أسماه الشارح الرعاية لحق الجار؛ ولذلك سيتبين هذا المعنى في فقه الحديث ..

فِقهُ الحديث:

1) إن المؤمن لا يكون كامل الإيمان حتى يتفقد أحوال جاره، ولا يغفل عنه ويواسيه حسب المستطاع. التفقد شيء مهم وأنت على قدر استطاعتك: {لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا مَا آتَاهَا} (الطلاق: 7) ما آتاك الله إياه فأنفق منه ما تستطيع.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء الثاني والثلاثون

الثلاثاء: 4رجب 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، نبدأ هذا اللّقاء بالكلام حول مواساة الجار والاهتمام به والتفكير في كل ما نستطيع تقديمه له، وهذا -كما مر معنا- يخرجنا من الدنيوية وحب الدنيا وعبادة الدرهم والدينار، ويدخلنا في الإقبال على الآخرة والعناية بها والعناية بما يرضي رب العالمين؛ ولذلك لا بد من الإخلاص في هذه الأعمال، لا ينفع في مثل هذه لأعمال أن يرائي بها الإنسان، بل ليعلم الإنسان أنه عندما يحسن مخلصًا لوجه الله سيأتيه اختبار، بل قد يضره الجار فلا يبالي؛ لأنه يعلم أن الله قد قال: {وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ} (الفرقان: 20) فلا تحسن لأنه أحسن! بل أحسن لأن الله أمرك، ورسوله الكريم أمرك، أحسن لأن هذا دليل الإيمان، أحسن لأن هذا يمهد لك في قبرك ووقت لقاء ربك، ووقت السير على الصراط ووقت تقاسم الناس المنازل في جنات النعيم.

نسأل الله أن نصل آمنين سالمين، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه، وأن يجعلنا يقظين لهذه الاختبارات التي يختبرنا الله بها، فإن الغفلة قد أخذت بقلوب العباد فما عرفوا يفسروا أفعال الله ولا عرفوا يفسروا الابتلاءات.

نقرأ هذا الباب ونرى مجموعة أوامر في الحديث لكن نركز على مقصودنا ..

62- بَابُ يُكْثِرُ مَاءَ الْمَرَقِ فَيَقْسِمُ فِي الْجِيرَانِ

113- حَدَّثَنَا بِشْرُ ابن مُحَمَّدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللهِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابن الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي -صلّى الله عليه وسلّم- بِثَلَاثٍ: (أَسْمَعُ وَأُطِيعُ وَلَوْ لِعَبْدٍ مُجَدَّعِ الأَطْرَافِ، وَإِذَا صَنَعْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهُ بِمَعْرُوفٍ، وَصَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فَإِنْ وَجَدْتَ الإِمَامَ قَدْ صَلَّى، فَقَدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ، وَإِلَّا فَهِيَ نَافِلَةٌ).

شرحُ الكلمات:

- مجدّع الأطراف: مقطوع الأطراف.
- مرقة: طعام ذو مرق من لحم ودجاج ونحوهما.
- فأَصِبْهم منه: أعطهم منه.
- تعاهد: تفقّد.

- أحرزت صلاتك: أي: صليتها في بيتك.
- وإلا فهي نافلة: أي: الصلاة التي تصلي مع الإمام.

النبي -صلّى الله عليه وسلّم- هو المرشد لنا، الذي يوصينا ويعلمنا أمور ديننا، ويعلمنا ما يجعلنا به نفوز في الآخرة، وينصحنا في أمور دُنيانا بما يضمن لنا السلامة والنجاة في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهذا نموذج من نماذج النصيحة اللطيفة يقول فيها أبو ذر -رضي الله عنه- في رواية أخرى: (إن خليلي) يعني النبي -صلّى الله عليه وسلّم- والخليل هو: الصديق الخالص الذي تخللت محبته إلى النفس.

فيا لهذا الحب العظيم الذي ربط الصحابة الكرام بالنبي -صلّى الله عليه وسلّم- ونحن على هديهم سائرون، نسمع منه الوصايا، ونسمع منه الإرشادات فيزداد حبنا له -صلّى الله عليه وسلّم- لما نجد لهذه الوصايا من أثر في صلاح نفوسنا ومجتمعنا، ووالله لو بلغت هذه المشاعر المحبة الحقيقية ما كنا نقول إلا: قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- فعل رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- نهى رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- حتى أن المرء يتمنى لو يعرف كل شأن من شؤونه كيف يوافق به الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- وهذه الأمنية لو دعمت بدعاء وبطلب وبصدق أرشدنا الله، يا رب أرشدنا أن نوافق ما كان عليه رسولك الكريم -صلّى الله عليه وسلّم-.

وانظر هذه الخلة كيف ترتب عليها الوصية، يقول: أمرني وحثني بثلاث: أسمع وأعقل وأطيع ما يأمر به وليّ الأمر إذا أمرني بأمر ليس فيه معصية لله -عزّ وجلّ- وإن كانت صفة وليّ الأمر هذا أنه عبد مقطع الأطراف، وهذه صفة قل أن يشتريه بسببها أحد فكيف عندما يصبح وليّ للأمر؟! سيصبح منبوذًا، القصد أنه مهما كانت صفة وليّ الأمر؛ يُطاع، وفي رواية أخرى: (وَلَوِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ يَقُودُكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا)[6] وهذا الكلام صعب جدًا على العرب، فحين تمس هذه الكلمات فؤادهم ثم يسمعون ويطيعون يكون أمر عظيمًا لأنهم قوم أصحاب أنفة، بدليل أنهم ما اجتمعوا على أحد في كل تلك العصور لأن كل قبيلة ترى نفسها أحسن من الأخرى، ونحن نعلم كم من الحروب قامت بينهم، ودائمًا يقولون: قامت الحروب من أجل ناقة وغيرها، لكنهم ليسوا بمثل هذا التبسيط الذي يبسطونه لك أنها قامت من أجل ناقة..! هي الإهانة التي لا يقبلها العرب، فليست الناقة هي مقصودهم إنما قتل الناقة كان فيه تعدِ وإهانة، فحين حصل التعدي والإهانة قامت قيامتهم؛ لذلك هذه الجملة ليست سهلة عليهم فأتى الإسلام أدّبهم، المهم ألا تكون الطاعة تخالف أمر الله، وإذا أمره بشيء يخالف أمر الله لا يخرج عليه -وهنا التوازن-.

---

[6]() أخرجه مسلم (1838) مطولا.

ثم أوصاه النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بالوصية الثانية الخاصة بالجار وهي: أنه إذا صنع مرقة، وهي الطعام الذي فيه مرق، الشيء الذي يكون فيه دسم لأن الماء لا يتحول إلى مرق إلا بسبب الدسم، فإذا وجدت لحمًا أو أي شيء فيه دسم؛ عليك حين تطبخ أن تكثر المرق حتى ينفع هذا الدسم الذي في الماء البدن فيدفئ ويوصل الإنسان إلى حالة من الشبع، المهم أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أمره بذلك لأجل مصلحة الجيران.

ثم أتى تفصيل دقيق لخطة الإحسان: أن ينظر أهل بيت من جيرانه فيرى أكثرهم حاجة أو أكثرهم عيالًا أو يكونوا في تلك الحال أكثر ضررًا فيواسيهم بذلك، هذا عمل صالح وهو معروف يعرف عند أهل الأرض ويثيب عليه رب الأرض والسماوات سبحانه وتعالى.

ثم أمره بالأمر الثالث وهو: أن يصلي كل صلاة من الصلوات الخمس في وقتها الأفضل، وهذا دون تقييد الأمر بالجماعة، ثم أوضح أهمية الاجتماع مع الناس في المسجد، فإن وجدتهم صلوا في المسجد فقد حصلت الصلاة عندما صليتها في أول وقتها واحترزت لها، فإن وجدتهم لم يصلوا فصليت معهم كانت الصلاة الثانية نافلة.

وفي هذا إشارة بأن يذهب للصلاة في المسجد حتى لا يتوهم من أمره بالصلاة على وقتها ترك الجماعة، لكن هذا أمر محير، ففي الرواية الأخرى: أنه سيدرك أمراء يؤخرون الصلاة على وقتها، أمره أن يسمع ويطيع وسيدرك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها فهو يسايسهم، يصلي الصلاة في بيته في أول وقتها وإذا ذهب ووجدهم ما صلوا يصلي معهم، فلا يتخلف عنهم، يراعي حق الله فيصلي في أول الوقت ثم يذهب إلى المسجد ويجتمع معهم حتى لا يتوهم من أمره بالصلاة على وقتها أن يترك الجماعة ومن أجل ألا يظن بمن فعل ذلك الشر في إظهار خلاف ما عليه الإمام، تذهب وتكون معهم وتعرف أن المعروف أن تصلي الصلاة على وقتها.

وفي هذا الحث على السمع والطاعة لولي الأمر لأنه بذلك تجتمع كلمة المسلمين، والخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم.

هذا الحديث يبين لنا كيف تكون (السياسة الشرعية) وكيف أنه يجب على الإنسان حين يكون في موقف حرج يبذل جهده في طاعة الله وأيضًا يبذل جهده في طاعة ولي الأمر في غير مخالفة، وهذا أمر عجيب الله ورسوله -صلّى الله عليه وسلّم- يعلمانا كيف نجمع الكلمة ولا نفرق الصف بيننا.

نقف عند فقه الحديث الذي خرج به ..

فِقهُ الحديث:

1) استحباب نصح الأحبة والأصحاب بما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم.

وهذا ظاهر من قوله: (أَوْصَانِي خَلِيلِي) يعني أوصاه بمجموعة وصايا فهذا فيه استحباب نصح الأحبة.

2) عدم احتقار شيء من ضروب الخير وصنوف البر، فإنها كلها معروف.

ولذلك قال: (وَإِذَا صَنَعْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهُ بِمَعْرُوفٍ).

3) الاهتمام بأداء الصلاة في وقتها.

كما هو متبين في جمل الحديث الأخيرة.

4) مشروعية الصلاة مع الإمام نفلًا للذي صلى في بيته أو نحوه ولو في جماعة، ثم أدرك الجماعة في المسجد.

ظرف الحديث واضح لأن الأئمة هؤلاء يؤخرون الصلاة، لكن أحيانًا يكون الإنسان مقبلًا من سفر وصلى جماعة ثم لما وصل بيته وجدهم أقاموا الصلاة فالفضل ألا يتخلى عنهم لأجل أن تبقى جماعة المسلمين مجتمعة ولا يساء الظن فيه.

5) إرشاد النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أمته إلى مكارم الأخلاق.

كما تبين لنا أن هذه من وصاياه -صلّى الله عليه وسلّم-.

6) استحباب التهادي بين الجيران؛ لأن ذلك يورث المحبة، ويزيد المودَّة.

عندما أمره -صلّى الله عليه وسلّم- بأن يكثر ماء المرق.

114- حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ الصَّمَدِ الْعَمِّيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابن الصَّامِتِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم-: (يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَ الْمَرَقَةِ، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ، أَوِ اقْسِمْ فِي جِيرَانِكَ).

شرحُ الكلمات:

- تعاهد: تفقّد.

فِقهُ الحديث:

1) انظر شرح الحديث رقم/113.
وهنا (تعاهد) و(اقسم)، كلها إشارة إلى الاهتمام بهم وطرد الفردانية، والاهتمام بالمجتمع.

63- بَابُ خَيْرِ الْجِيرَانِ

115- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ ابن يَزِيدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَيْوَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا شُرَحْبِيلُ ابن شَرِيكٍ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيَّ يُحَدِّثُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابن عَمْرٍو ابن الْعَاصِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم- أَنَّهُ قَالَ: (خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ).

هذا باب فيه خبر عن خير الجيران، هذه منازل خيرية عند الله، خير الأصحاب عند الله، وهذا شيء عجيب؛ أنت تصاحب أهل الأرض وفي السماء الله -عزّ وجلّ- يرفعك مكانة وتصبح لك خصوصية وتصبح من خير الأصحاب أو تصبح من خير الجيران -سبحان ربنا العظيم- كيف تكون هناك أعمال وقد يستهين بها الإنسان لكنها ترفع الإنسان عند رب العالمين.

فمن الأمور المهمة والتي سعى الدين إلى تحقيقها وإيجادها في مجتمعات المسلمين: التآلف والتآخي والتراحم والترابط بيننا وبهذا يصبح المجتمع قوي، وهذا لا يأتي إلا من خلال قوة ارتباط أفراده وتوثيق الصلات بينهم، والشريعة أمرت بكل ما يزيد هذه الصلات وحرمت كل وسيلة تفضي إلى التفرق وعدم الاجتماع، وكل وسيلة تؤدي إلى الاختلاف وعدم الائتلاف؛ ولذا نسمع في القرآن: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} (الحجرات: 12) فالنبي -صلّى الله عليه وسلّم- في هذا الحديث يحثنا على التآلف والتآخي والترابط والتراحم بين الأصدقاء وبين الجيران ويخبرنا أن عند الله هذه مسألة عظيمة.

فمن أعظم نعم الله -جل وعلا- على عبده أن يمنحه صاحبًا ناصحًا أمينًا صادقًا عاقلًا، يتقي الله فيه ويكون له عون على طاعة الله وعلى اجتناب معاصي الله ويعلمه ويرشده وينبهه على فعل الخير ويحوطه من ورائه، ويميط عنه الأذى المعنوي والمادي، بمعنى أنه يعينه على مصالحه الدينية والدنيوية، ويكون العيش بهذا آمنا.

وفي رواية عن عمر رضي الله عنه قال: (عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم) يعني عش في ضلالهم وجوانبهم: (فإنهم زين في الرخاء وعدة في البلاء) -سبحان الله- ما أطيب هذا الشرع، كيف تميز هذا الأخ الذي لم تلده أمك؟ يرغبك في طاعة الله وينهاك عن معصية الله ولا يغشك ولا يخونك ويعاملك بالنصح والصدق والأمانة، إذا جهلت يعلمك وإذا نسيت يذكرك،

ويستر عيوبك، وما أخطر العيوب عندما يطلّع عليها صاحب ثم يعايرك ويكثر من ذكرها ويكثر من أذيتك فيها.

لذلك من عجائب الأدعية الدعاء الذي فيه وصف لهذا الصاحب الخائن، أو هذا الصاحب الذي نستعيذ بالله منه، نقول: اللهم إنا نعوذ بك (مِنْ خَلِيلٍ مَاكِرٍ عَيْنَهُ تَرَانِي وَقَلْبُهُ يرْعَانِي إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا، وَإِذَا رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا)[7] نعوذ بالله، هذا خليل ماكر يظهر المحبة والخلة والود وهو في باطن الأمر مخادع، ينظر إلي نظر الخليل لخليله مداهنة وخداع ومكر، وقلبه يراعي إيذائي وهو يتربص بي الشر والسوء، وإذا رأى حسنة دفنها، وهذه هي العلامة، إذا علم مني أن عندي أخلاق حسنة أو تصرف حسن فعلته يستره ويغطيه ويكتمه ويحقره ويقلل من قيمته وإذا رأى سيئة أذاعها، والإنسان يزل، فهو ينشرها ويظهر خبرها بين الناس، فهذا ليس بخليل ولا صديق بل عدو ظلوم غشوم، وهذا يشبه حال أهل النفاق مع أهل الإيمان: {إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا} (آل عمران: 120) لذا هذه كانت من استعاذات الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- -نعوذ بالله-.

لكن خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه؛ ولذا يعرف هؤلاء في السراء والضراء، يعينون ويزورون في الرخاء والبلاء، يعينونك على البر والتقوى ويمنعونك من الإثم والعدوان.

وقد ذكر في قول من سلف: (بِصُحْبَةِ الصَّالِحِينَ تَطِيبُ الْحَيَاةِ، وَالْخَيْرُ مَجْمُوعٌ فِي الْقَرِينِ الصَّالِحِ، إِنْ نَسِيتَ ذَكَّرَكَ وَإِنْ ذَكَرْتَ أَعَانَكَ)، لكن المشكلة أن هناك أسباب كثيرة لخسارة الصاحب الصالح، أحيانًا كثيرة ألسنتنا تخسرنا الصاحب الصالح، وبطرنا عليه وإحساسنا أنه مضمون ولن يتغير علينا وأنه سيبقى يحبنا، فيأتي الحرمان من رب العالمين، فتأتي أحوال وظروف، لا يعادينا لكن تأخذه الأيام بعيدًا عنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

لا بد من تصور حال الأصحاب ومن ذلك الجيران، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره، أنت تقدم وتبذل وتحسن وتسارع وتتحمل الأذى، وهذا جاورك ابتلاءً عليك، وأنت تنظر إلى هذا الابتلاء ليس من باب أنه يضرك ولا تضره ولا تحسن له، تكفيهم خيرك وشرك، هذه السلبية! بل اكفهم شرك أما خيرك فأعطهم إياه، وهناك ميزان فوق في السماء، فالاهتمام بالجيران من أساسيات أخلاقيات المسلم، وكلما انتشر خيرك للجار كلما ازداد لك الأجر وثبت لك البركة لأنك عند الله خير لجارك، الخيرية لمن كان سابق للإحسان إلى جاره ذلك لأن الجار مأمور بالإحسان إليه ومن تمسك بالإحسان سيجد ثوابًا عظيمًا، ومن كان أكثر حظًا في الإحسان كان أعظم ثوابًا عند الله.

[7]() صححه الألباني.

في مقابل أن الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- قال: (واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ، واللَّهِ لا يُؤْمِنُ) –ثلاثًا- قيل ومن هذا يا رسول الله؟ قال: (مَن لا يأمن جارُه بوائقَه)[8] يعني غوائله وشروره، يخاف منه أن يهجم عليه في أي لحظة.

عندما نقرأ هذه النصوص التي تبين حق الجار وتوضح ما علينا تجاهه نزداد يقينًا وثقة أن هذا الدين شامل وكامل وصالح لكل مكان وزمان وأن ليس للبشرية غنى عنه، وأننا قد دللنا على الطريق التي نزكي بها أنفسنا، فاللهم إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

وفي الحديث أنه قِيلَ لِلنَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم-: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلانَةً تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ، وَتَفْعَلُ، وَتَصَّدَّقُ، وَتُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: (لا خَيْرَ فِيهَا، هِيَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ) قَالُوا: وَفُلانَةٌ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ، وَتَصَّدَّقُ بِأَثْوَارٍ، وَلا تُؤْذِي أَحَدًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: (هِيَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)[9].

الله يغفر لنا من أجل هذا لا بد أن نلاحظ في الجيران وفي الإخوان الناس الذين يمرون بأزمات، كانت أسماء بنت أبي بكر زوجة الزبير ابن العوام -رضي الله عنهما- عندما جاءا من مكة إلى المدينة في حالة الهجرة في حالة صعبة وسينشؤون بيتًا جديدًا في مكان غريب، والأمر ليس سهلًا مع قلة ما في أيديهم فقد خرجوا بلا مال مهاجرين في سبيل الله، فأسماء -رضي الله عنها- توضح السبب في سهولة العيش، توضح حال الجيران وحال الصحاب، تقول: (جيران من الأنصار نسوة صدق) كانوا يساعدونها، جيران من الأنصار يخبزن لها ويساعدونها في العمل -فسبحان ربنا العظيم- معنى هذا الكلام أن علينا أن نعتني بمن يمرون بأزمات وبأحوال ضيق، كن معهم الله يعينك ويعينهم، ومن كان في عون أخيه كان الله في عونه وخاصة الجار والصاحب.

فِقهُ الحديث:

1) الحث على تعظيم الصحبة الإيمانية وتعزيزها.

2) الحث على حفظ الجار والإحسان إليه.

حري بالمؤمن أن لا يؤذي جاره وأن يراعي حقوقه وأن يصون عرضه وليُعلم أن الاعتناء بالجيران من صفات أهل الإيمان.

---

[8] () أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم بعد حديث (6016)

[9] () صححه الألباني.

نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يرزقنا هذا الصدق ويجعلنا من المؤمنين المتقين وأن يجعلنا جيران صدق كما كان جيران أسماء -رضي الله عنها- جيران من الأنصار نسوة صدق كنّ يساعدنها، رضي الله عنها وعنهنّ- وجعلنا نسلك سبيلهنّ -اللهم آمين-.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء الثالث والثلاثون

الأربعاء: 5رجب 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله توكلنا على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا زلنا في هذه الآداب العظيمة التي يتأدب بها المؤمن والتي أدبتنا بها هذه الشريعة، نسأل الله بمنه وكرمه أن يجعلنا مؤدبين بهذا الأدب العظيم، وحق لهذا الكتاب (الادَب المُفرَد) أن يتفرد وأن يكون له قيمة عند المربين وعند المتربين، فلا بد من هذه التوجيهات العظيمة أن تقع موقعها عمليًا فيعظم ما عظمه الله وما عظمه رسوله -صلّى الله عليه وسلّم- ولا تبالي بغير هذه الآداب، بل كل ما تحتاجه عقيدةً وعملًا ستجده في الكتاب والسنة، وخاصةً الأعمال ستجدها في كتاب: (الادَب المُفرَد) ولذا نصرة لديننا ولنبينا وعقيدتنا نحن نتعلم ونقرأ ونتدارس، نسأل الله أن يتقبل منا جميعًا.

64- بَابُ الْجَارِ الصَّالِحِ

116- حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن كَثِيرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ حَبِيبِ ابن أَبِي ثَابِتٍ قَالَ: حَدَّثَنِي خَمِيلٌ، عَنْ نَافِعِ ابن عَبْدِ الْحَارِثِ، عَنِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ: (مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ: الْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَالْجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ).

فِقهُ الحديث:

1) الجار الصالح نعمة عظيمة للمرء يجب عليه الشكر لله على ذلك وكذلك سعة المنزل، والمركب الهنيء إذا لم يُشغل قلب راكبه عن ذكر الله -عزّ وجلّ- فهو من نعم الله الواسعة أيضًا.

هذا الخبر النبوي الكريم قد تضمن جُملًا من الفوائد وحث على الأمور الجالبة للفرح والسرور وحذر من ضدها المقتضية للمتاعب والشقاء، كل من هذه الأمور الأربعة فيها سعادة لصاحبه وسر هذه السعادة أن هذه من الأمور الملازمة له في حياته فلا يفارقها تقريبًا إلا ويعود لها مرة أخرى.

هذه الرواية ما فيها المرأة وفي رواية: (أربعٌ من السعادةِ: المرأةُ الصالحةُ، والمسكنُ الواسعُ، والجارُ الصالحُ، والمركبُ الهنيءُ)[10] المرأة من الأمور التي هي في غاية الأهمية في حياة الإنسان، قد تقول إن هذه سعادة دنيوية وثمرتها عاجلة ونحن نريد السعادة الأخروية ..!

علينا أن نفهم أن هذه السعادات لو وجدت كانت أعظم ما يعين العبد على أمر دينه وآخرته؛ ولذلك لو توفرت للإنسان وكانت تحت يده المفروض أن يشكر الله كثيرًا عليها ويستفيد منها وينتفع بها معينةً له على طاعته -سبحانه وتعالى- لكن لو أنها ما تيسرت له يرضى بما قسم الله.

الكلام هنا عمن يستطيع أن يأتي بها ويتركها، وعمن تمكن منها ووجدت عنده وما يشكر ربنا وينتفع بذلك، هذا اللوم عليه.

نبدأ بالمرأة الصالحة التي ما ذُكرت في هذه الرواية وهي مذكورة في رواية (ابن حبان/في صحيحه) و(الحاكم/في المستدرك) و(الطبراني/في الكبير والأوسط) وأيضًا (البيهقي/في الشعب).

المرأة الصالحة -كما في الحديث الآخر- خير متاع الدنيا: (الدُّنْيَا كُلُّهَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ)[11] (إنما الدنيا متاعٌ ، وليس من متاعِ الدنيا شيءٌ أفضلَ من المرأةِ الصالحةِ)[12]فالمرأة الصالحة متاع دنيوي بما تدخله على زوجها من سرور وبهجة وبما تحمل معه من هموم ومشاكل، فهي تعينه على أمر الآخرة وهذه المرأة الصالحة لها وصف في الحديث أيضًا: (فمن السعادةِ : المرأةُ الصالحةُ ؛ تراها فتُعجبُك ، وتغيبُ عنها فتأمنُها على نفسِها ومالِك)[13]

يعني محفوظة العرض وأيضًا لا تمس مال زوجها بسوء. وفي رواية: (قيل لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أيُّ النساءِ خيرٌ؟ قال: التي تسرُّه إذا نظر، وتطيعُه إذا أمر، ولا تخالفُه في نفسِها ومالها بما يكره)[14] وهذا كله في حدود العرف المتفق عليه الذي يوافق عرفنا ويوافق الشريعة ولا يخالفها.

هذه المرأة تسر زوجها بهيئتها الجميلة إذا نظر إليها وتطيعه إذا أمرها بشيء غير محرم ولا تخالفه في نفسها، وحتى في مالها تحاول أن تكرمه إن استطاعت، بهذا تكون حياة الإنسان في سعادة، المرأة تكون في سعادة والرجل يكون في سعادة -والله المستعان- لكن نرى اليوم الانشقاق الأسري بسبب أن عبادة غض البصر من الرجل ومن المرأة غير موجودة، خسران عبادة غض البصر خسرتنا أشياء كثيرة، خسرتنا القناعة بما رزق الله وخسرتنا القوة في دفع

---

[10]() أخرجه ابن حبان (4032)
[11]() صححه الألباني.
[12]() صححه الألباني.
[13]() حسّنه الألباني.
[14]() حسّنه الألباني.

وساوس الشيطان فأصبح الشيطان عنده مجال رحب أن يوسوس في صدر المرأة والرجل ولا يرضيهم بما قسم الله لهم -والله المستعان-.

من أسباب السعادة أيضًا: المسكن الواسع فهو أبهج للنفوس وأحب إليها لأن في السعة عمومًا راحة نفسية، كما أن الدار الواسعة أجمع لحاجات أصحابها، والدار الواسعة تعينك على استقبال الضيف وإكرامه والسعي في مصالح الناس، لو كان مطبخكِ واسعًا تطبخي فيه لجاراتك وتكرمي فيه ضيفك، لو كانت غرفة استقبالك واسعة تجمعي الناس على خير، فالبيت الواسع فيه هذه المصالح، وهذا لا ينافي القناعة أبدًا، هذا لمن يتيسر له، يقال له: أنت في بيت واسع؛ أنت في نعمة وفي راحة نفسية وعليك أن تستفيد من هذا الذي اعطاك الله في القربى إلى الله، وهذا هو الأمر المهم، المساكن الواسعة تشرح صدور الأبناء مع آبائهم، تيسر علينا الاجتماع ولا تضيق علينا الأمور وتجعلنا في راحة وقدرة على قضاء أمورنا فلننتفع مما أعطانا الله وكل على حسب سعته، وإذا كان هذا من النعيم فلا مانع من الدعاء به، لقصد صلاح الدنيا لأجل الآخرة.

وأيضًا: الجار الصالح الذي يكف أذاه عن جيرانه ويحسن إليهم في معاشهم وآخرتهم، الجار الصالح -الذي هو موضوعنا- يكون نعمة عليك، في مقابل أن سيء الأخلاق الذي لا يكف أذاه عن جاره ولا يعرف حقوقه هذا ضرر عظيم؛ لذلك النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قد أمرنا أن نتعوذ بالله من جار السوء في دار المقام: (فإنَّ جارَ الباديَةِ يتحوَّلُ)[(15)] عنك -وهذا أمر مشاهد- كم من جيران آذوا جيرانهم واشتكوهم وأوصلوهم إلى الشرط وأمور غير متوقعة، وأعظم من ذلك ما مر على كثير من الناس الذين جعلوا هذه البيوت خاصة لحفظ القرآن ثم يأتي الجار يشتكيهم لوجود شيء أضره لموقف سيارة أو شيء من الأمور فيمكن أن يغلق مكان فيه قرآن، وهذا من البلاء، نسأل الله أن يسكننا مسكن لا جار سوء فيه.

المرأة الصالحة صاحبة الدين العفيفة التي تحفظ نفسها إذا غاب وأمينة تحفظ ماله، هذا قوام المرأة الصالحة، إذا أتت هذه المرأة الصالحة هذا من أعظم النعم على الإنسان في الدنيا، والمسكن الصالح الذي يكفي لسكن أهله ويكون براح عليهم وعلى ضيفهم وكثير المرافق بالنسبة لساكنيه، وهنا تختلف السعة باختلاف الساكنين، والجار الصالح المسلم الذي لا يؤذي جاره ويوصل المنافع إلى جيرانه، كل هذه نعم.

وأيضًا: المركب الهنيء وهو كل ما يركب الإنسان من دابة ومن سيارة وغيرها، من هنائه، لو تكلمنا عن السيارات مثلًا.. أنها لا تكون كثيرة الخراب والإشكالات، فتكون بركة على صاحبها، نسأل الله أن يرزقنا دواب مباركة وأن ينزل البركة على سياراتنا وينزل البركة على جيراننا وأزواجنا وبيوتنا.

---

[15]) حسّنه الألباني.

هذه الأشياء لها أهمية عظمى ولها أثر في حياة الإنسان، إذا كانت المرأة ملائمة لزوجها متفاهمة معه ومخلصة له، والدار واسعة ومناسبة لأهلها والفرس أو السيارة التي يركبها قوية ومريحة والجار صالح؛ ارتاح الإنسان في حياته وشعر بالسعادة وأحس بالاطمئنان والاستقرار النفسي.

أما خلاف ذلك زوجة غير صالحة ودار غير مناسبة أو سيارة غير مريحة وجار غير صالح فالإنسان يشعر بالتعاسة والقلق ويتعب جسميًا ونفسيًا معًا، فنسأل الله -عزّ وجلّ- أن يرزقنا أسباب السعادة ويكفينا شر أسباب التعاسة.

وهنا صاحب الشرح خص الجار الصالح لأن البخاري عقد الباب لذلك، وكذلك سعة المنزل والمركب الهنيء إذ لم يشغل عن ذكر الله فهو من نعم الله، بل فلتكن هي سبب للوصول إلى المصالح.

65- بَابُ الْجَارِ السُّوءِ

117- حَدَّثَنَا صَدَقَةُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ هُوَ ابْنُ حَيَّانَ، عَنِ ابْنِ عَجْلاَنَ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم-: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامِ، فَإِنَّ جَارَ الدُّنْيَا يَتَحَوَّلُ).

نحتاج إلى مراجعة كلمة: (الدُّنيا) لأن في النسخ: (فإن جار البادية).

شرحُ الكلمات:

- دار المقام: دار الإقامة لأن الجار السيء في دار الإقامة أحق بالاستعاذة منه لتتابع الأذى منه، ولا يزول عنه ظن الأذى في كل حال، وهو أشد من الأذى.

لا زلنا في نفس المعنى وهو أن سوء الجيرة من الأمور المبغضة للقلوب وهو ليس من صفات المسلم الحق، والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- يوصي الجار بجاره حتى أنه -صلّى الله عليه وسلّم- ربط إكرام الجار بالإيمان بالله واليوم الآخر.

وفي هذا الحديث النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ السُّوءِ فِي دَارِ الْمُقَامِ) وفي حديث آخر يقول: (تعوَّذوا باللهِ مِن جارِ السُّوءِ في دارِ المقامِ) أي: يأمرنا، علينا أن نستعيذ، اسألوا الله -عزّ وجلّ- أن يعيذكم ويحميكم ويقيكم من الجار الذي يسيء في خُلقه لمن حوله لمن ينزل معه في الدار المجاورة لدار الإقامة في مواطننا، فإن جار السفر والبادية، الصحراء، يتحول عنك فجار البادية زائل، فشره زائل مع انتهاء مدة السفر على عكس الذين في المدن، فإنه في الغالب يكون مجاورًا لك مدى الحياة فتحصل بذلك المشكلة

الكبيرة، فشره باق ببقائه، فالدعاء والطلب من الله -عزّ وجلّ- أدعى للإنسان أن يفرغ الأسباب في اختيار الجار عند طلب مسكن ما دام تعوذت فأنت حين تختار عليك أن تنتبه من جارك، من أجل أن تتقي من هو سيء الأخلاق، فإن جار المقامة يلزمك، ومن ثم تبقى مشكلتك معه لا تنتهي إلى أن يموت أحدكم أو يتحول، فأنت اختار -والله المستعان-.

ونحن في أحوال كثيرة تجعلنا ليس في قدرتنا الاختيار فنلزم الاستعاذة، يكون هذا من الاستعاذة الدائمة حتى يصرف الله عنا جار السوء.

118- حَدَّثَنَا مَخْلَدُ ابن مَالِكٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابن مَغْرَاءَ، قَالَ: حَدَّثَنَا بُرَيْدُ ابن عَبْدِ اللهِ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: (لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَأَخَاهُ وَأَبَاهُ).

فِقهُ الحديث:

1) من أشراط الساعة الصغرى شيوع القتل، ولا يعني هذا مقاتلة المسلمين الكفار، وإنما هو قتل المسلمين للمسلمين، يقتل بعضهم بعضًا.

لا حول ولا قوة إلا بالله، يوم القيامة يوم شأنه عظيم وقد أخبر النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أنه يحدث قبل يوم القيامة فتن عظيمة وأحداث متوالية وفيها أهوال وأمور لا يتصورها العقل، ومن هذا ما ورد في حديث أبو موسى الأشعري هنا، وقد ورد بألفاظ: (إن بين يدَي الساعةِ لهرَجًا)[16] يعني: يقع قبل قيام الساعة هرج كثير بين الناس، والهرج هو: القتل، فقال بعضُ المسلمينَ: (يا رسولَ اللهِ إنا نقتُلُ الآن في العامِ الواحدِ من المشركينَ كذا وكذا)، الصحابة سألوا كيف يحصل يا رسول الله إنا نقتل في العام الواحد من المشركين كذا وكذا، فهل هذا الذي نحن فيه آخر الزمان؟ يسألون الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- فقال رسولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: (ليس بقتلِ المشركين ولكن يقتُلُ بعضُكم بعضًا حتى يقتُلَ الرجلُ جارَهُ وابنَ عمهِ وذا قرابتِهِ) القتل المقصود أن يقتل المسلمون بعضهم بعضًا دون مراعاة لحرمة دم أو دين أو قربة، إلى أن يصل الإنسان أن يفعل هذه الأفعال، يقتل الرجل جاره وابن عمه وذو قرابته وأخاه وأباه، فقال بعضُ القومِ: -تعجبًا- (يا رسولَ اللهِ ومعَنا عُقولُنا ذلك اليومِ؟) كيف يفعل هذا الفعل عاقل؟ فقال رسولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: (لا تُنزَعُ عُقولُ أكثرِ ذلك الزمانِ) يعني لا عقل لكم تلك الأيام، تسلب عقول أكثر الناس، بمعنى عقل الرشد غير موجود أما عقل الإدراك

[16]) صححه الألباني.

فموجود، (ويَخلُفُ له هباءٌ من الناسِ لا عُقولَ لهم) يكثر فيهم أناس لا عقل لهم ولا فهم ولا علم عندهم، وفي رواية: (يحسبُ أكثرُهُمْ أنَّهُمْ على شيءٍ ولَيْسُوا على شيءٍ)[17] يعني يحسبون أنهم على حق وعلى علم وهم ليسوا كذلك.

أبو موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: (وايمُ اللهِ إني لأظنُها مُدرِكَتي وإيَّاكم، وايمُ اللهِ ما لي ولكم منها مخرجٌ إن أدركَتنا فيما عهِد إلينا نبيُّنا -صلّى الله عليه وسلّم- إلا أن نخرجَ كما دخلنا فيها) -هو يقسم- يغلب على ظنه أن هذه الفتنة ستدركهم ويقعون فيها، والمخرج منها عدم الوقوع في شرها.

وفي رواية: (لم نُصِبْ منها دَمًا ولا مالًا) لا ندخلها أبدًا، لم نأخذ ولم نتلبس منها بقتل صاحب دم معصوم ولا بأخذ مال بغير حق أبدًا، إنما يلزم بيته ولا يشترك في القتل، وإذا أتى أحد ليقتله يستسلم: (كُن عبدَ اللهِ المقتولَ ولا تكن عبدَ اللهِ القاتلَ) إلى هذه الدرجة ..!! شيء خطير، وهذا واضح ومعروف في كتاب: (الفتن) من -صحيح البخاري- وكيف أن هذا الأمر مختلف عن إذا أتي صائل عليك وأنت تدافع عن نفسك أو عن عرضك، لكن القتال في الفتن أمر آخر يجب أن يعرف تفاصيله.

هذا باب عظيم نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجنبنا جميعًا هذه الأخطار ويحفظ أولادنا، والناظر اليوم إلى الإرهاب يجد أنهم يتقربون إلى الله بقتل آباءهم وأولاد عمومتهم خيانةً وغدرًا ويملؤون عقولهم بهذا مثلما قال -صلّى الله عليه وسلّم- لما سألوه: ومعنا عقولنا ذلك اليوم؟ قال: (لا تُنزَعُ عُقولُ أكثرِ ذلك الزمانِ ويَخلُفُ له هباءٌ من الناسِ لا عُقولَ لهم) وفي الرواية الثانية: (يحسبُ أكثرُهُمْ أنَّهُمْ على شيءٍ ولَيْسُوا على شيءٍ) وهذا بالضبط ما نراه اليوم، ينافحون ويقاتلون ويعتقدون أنهم على شيء، يغرون أولادنا ويأخذونهم بعيدًا عن الحق ويوهِموهم أنهم على شيء، فيجعلوهم قاتلين لإخوانهم وجيرانهم وآبائهم نعوذ بالله من الفتن يا رب سلمنا وسلم ذرياتنا من هذه الفتن -اللهم آمين-.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

---

[17]) صححه الألباني.

اللّقاء الرابع والثلاثون

الأحد: 16رجب 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنه وكرمه أن نكون بقراءتنا لحديث النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أهلًا لشفاعته وأن نكون ممن يشرب من حوضه -صلّى الله عليه وسلّم-.

كنا، ولا زلنا نقرأ في كتاب: (الادَب المُفرَد) والشرح المرقوم عليه باسم: (رَشُ البَرَد) للدكتور: محمد السلفي -رحمه الله- وقد كنا في الأبواب التي تدل على أن هذه الشريعة مبنية على الرحمة، ومر معنا الكلام عن حقوق الجار، إلى أن بلغنا باب: (67) والمعنون بباب: (لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا) والحديث الوارد في ذلك، نسمع أولًا الحديث ثم نبدأ بنقاشه ..

67- بَابُ لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنُ شَاةٍ

122- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ابن أَبِي أُوَيْسٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ زَيْدِ ابن أَسْلَمَ، عَنْ عَمْرِو ابن مُعَاذٍ الأَشْهَلِيِّ، عَنْ جَدَّتِهِ، أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ -صلّى الله عليه وسلّم-: (يَا نِسَاءَ الْمُؤْمِنَاتِ! لاَ تَحْقِرَنَّ امْرَأَةٌ مِنْكُنَّ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ كُرَاعُ شَاةٍ مُحَرَّقٍ).

123- حَدَّثَنَا آدَمُ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ الْمَقْبُرِيُّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: قَالَ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم-: (يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ! يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ! لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنُ شَاةٍ).

شرحُ الكلمات:

- الكراع: ما دون الركبة من الساق.
- فرسن: هو عظم قليل اللحم وأصله يختص بالبعير، وهو منه كموضع الحافر من الفرس، ويُستعار للشاة.

فِقهُ الحديثين:

1) الحض على الهدية والصدقة مهما كان شيئًا قليلًا.

2) النهي عن الشُحّ والبخل.

3) استحباب التواصل بين المسلمين وبخاصة الجيران.

كما هو ظاهر لنا، النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يخص النساء بهذا الخطاب لأنهنّ هنّ المدبرات للبيوت، وهنّ اللاتي يجدن القليل والكثير وقت طبخهنّ ووقت تدبيرهنّ طعام لأهل بيتهم، فهي راعية في بيت زوجها، وهي مسؤولة عن هذه الرعية، ومما تحض عليه، وهي تتحمل المسؤولية، أن تكون لها يد منفقة لا تضر بأهل البيت وفي نفس الوقت تنفع في صلة الجيران وفي تطييب خواطر المجتمع المحيط بها.

وخص النبي -صلّى الله عليه وسلّم- النساء بهذا الخطاب مما هو ظاهر من قدرتهنّ على التدبير، لكن نبهنا النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ألا نحتقر شيء؛ لأن المرأة قد يقع في نفسها أن هذا القليل لا يُجمّل أمام الناس، وأنه قليل حقير، تستحي أن تخرجه على أنه هدية، فيقل مقداره في نفسها وتشعر أنه ماذا سيقول الناس لو أعطيتهم هذه الطعمة اليسيرة؟! ترى أن هذا لا تقدير فيه، فترى أنه من الأفضل ألا تعطيهم.

النبي -صلّى الله عليه وسلّم- ينبه الناس على هذا الأمر الساري في تفكيرهم فيقول: يا نساء المؤمنات اللاتي تؤمن بالله وباليوم الآخر وتؤمن أن الله مطلع عليكم وتؤمن إيمانًا يجعلكنّ تقصدون الله في أفعالكم، لا تحقرنّ امرأة منكنّ أن تعطي جارتها كراع وهو ما دون الركبة من الساق، وهو ما يُسمى عند الناس -الكوارع- وهذا ما يكون فيه لحم لكن لو طُبخ بطريقة معينة يكون فيه شيء من الدهن يمكن أن يُفت عليه من الرغيف ويمكن أن يوضع عليه شيء فيطبخ، ما فيه لحم لكن الله ينفع به.

الاحتقار لهذا الشيء يمنعك أن تعطيها ومن ثم يجعل الإنسان لا يعطي إلا إذا اكتملت عنده مجموعة أمور، وكلما زاد الناس تعقيدًا في هذه الأمور كلما قلت العطيات، إلى أن تنقطع العطية بين الجيران، أن هذا لا يجمل! النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يمنع النساء من هذا التفكير ويأمرهم أن ينفقوا مما هو متيسر عندهم ولو هذا الكراع وأيضًا يكون محرق؛ لأنه عادة يكون فيه شعر فيشووه على النار فيحصل له احتراق فتشعر بنقصه، يقول النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: أهديه لجارتك تنتفع به ويحصل بينكم من المودة ما يحصل.

بل في الحديث الثاني: فرسن شاه، قيل أنه ما يكون في ظِلف الشاه وهو شيء زهيد لكن لا بأس، ما تستطيعه افعله وصل به جارك -وقد مر معنا- أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أمر الصحابي إذا طبخ مرقة فيكثر ماءها ويتعاهد جيرانه، حتى المرق إذا أعطيته جيرانك هدية تُثاب على ذلك، فهذا كله حض من الشريعة أن تكون دائمًا منفق، ولا تفكر في حجم الهدية أو في مقدارها أو في كثرتها أو في قلتها، إنما فكر أن تخرج وتعطي، وهذا حين يصبح لك طبعًا في نفسك، تجد نفسك مدفوعًا إليه دائمًا، وتجد نفسك عندما تفكر لا تفكر في نفسك فقط فتخرج من أعظم أزمة يعيشها الناس وهي الشُح والأنانية؛ لأن من زكت نفسه ذهب شحه، والله قد

أخبرنا ذلك في كتابه، وأخبرنا عمن ينعم عليه ويقيه شُح نفسه وكيف أن هؤلاء هم أهل الفلاح -اللهم قنا شُح أنفسنا بالإيمان والتقوى يا رب العالمين-.

وهذا ينبهنا تنبيهًا عظيمًا على أن العطايا والهدايا ليست مجاملات، وليس كما هو في قانون كثير من النساء؛ أعطتني أعطها! أحضرت لي هدية هذا تقريبًا ثمنها، آتيها بهدية هذا ثمنها! وإذا لم تأتني بهدية هذا ثمنها لا أعطيها هدية إنما أقابلها! وقد يمتنعنّ عن صلة أرحامهنّ وعن وصل جاراتهنّ بسبب أنه ما معها ثمن هدية! ليس بهذه الطريقة تأمرك الشريعة أن تكون سيرتك مع الخلق، الشريعة تحضّك على الهدية وعلى الصدقة مهما كانت شيئًا قليلًا، وكُلٌّ يعطي على حسب ما هو متيسر له الآن فقط عود نفسك على العطاء -الله يغفر لنا شح أنفسنا- ومن هنا ظهر النهي عن الشُح والبخل وهذا أمر معروف في الشريعة، وكما تبين أن: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الحشر: 9) فالشُح غريزة في النفس أضافها الله -عزّ وجلّ- في هذه الآية إلى النفس، وربما يجد الإنسان هذا الأمر في نفسه من مواطن لا تشعر بها، أنت تشعر أنك كريم وتعطي، لكن تأتي مواطن وأحوال تجد أنك تشح، وهذه القاعدة القرآنية: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} من أقوى القواعد في تربية النفس وتزكيتها، فعليك أن تلحظ نفسك، هل أنت دائمًا متق لشُح نفسك أو وقت ووقت ..؟!

ونلاحظ أن هذه الآية في سورة الحشر قد أتت في سياق الثناء على الأنصار الذين تبَوَّؤا الدار والإيمان، وكيف أخبر -سبحانه وتعالى- أنهم يحبون من هاجر إليهم، وأنهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أعطى المهاجرين، وأنهم كانوا يُؤثِرون المهاجرين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

ثم ختم -سبحانه وتعالى- الخبر عن هؤلاء الأنصار الكرام المرفوعين في خبرهم إلى يوم القيامة، المترضى عليهم جميعًا بقوله تعالى: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} وهذه شهادة للأنصار وإرشاد لجميع المؤمنين أن يسيروا سيرهم وأن يعطوا ما يتيسر.

نفس هذه الجملة القرآنية العظيمة التي هي قاعدة من قواعد التزكية النفسية أتت في سورة التغابن أيضًا في سياق الحديث عن فتنة الأموال والأولاد والأزواج وكيف يمكن أن يطمع الإنسان، وكيف أخبرنا -سبحانه وتعالى- كيف يمكن أن يكون من أزواجنا وأولادنا عدو، وأمرنا أن نحذر وأن نعفو عنهم ونصفح ونغفر، ثم أخبرنا -سبحانه وتعالى-: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ} (التغابن: 15) ثم أمرنا -سبحانه وتعالى- أن نتقيه ما استطعنا ونسمع ونطيع، وأهم شيء لنسير على الصراط المستقيم: {وَأَنْفِقُواْ خَيْرًا لانفُسِكُمْ} ثم قال -سبحانه وتعالى-: {وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِن تُقْرِضُواْ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ} (التغابن:16-17) سبحانه وتعالى يشكر لك أن تنتصر وتصل أن تكون وقيت شح نفسك.

نسأل الله أن يعيننا ويسددنا ويوفقنا لهذا الأمر العظيم، الإنسان كثيرًا ما يزن الأمور بعقله الناقص ويجد أنه لو أنفق كثيرًا أو أعطى سينقص عليه ولو أنفق قليلًا سيستحقر الناس عطيته فيترك الباب، لكن يقال له: إذا علمت أن الشح غريزة في النفس، والله أضافها للنفس لنعلم مدى ملازمتها لأنفسنا، فهذا لا يعني أننا لا نستطيع أن نتخلص منها، فالخلاص يسير على من يسر الله له الخلاص، وهذا عبد الرحمن ابن عوف الصحابي الكريم الذي له سيرة عطرة في الإنفاق وقد كان له موقف مع عائشة -رضي الله عنها- كانت نائمة على الأرض فسمعت أرض المدينة تهتز، فسألت: ما الخبر؟ قالوا: هذه قافلة لعبد الرحمن ابن عوف مليئة بالخيرات، فأرسلت له تعظه وكان ممن فُتح له في باب التجارة، فما كان منه لما سمع مرسولها يقول له هذا الوعظ، إلا أن أنفق هذه القافلة كلها في سبيل الله!

هذا عبد الرحمن ابن عوف الذي كان له تاريخ مجيد في الإنفاق وخاصة على نساء النبي، وقد أوصى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- عبد الرحمن ابن عوف بنسائه، كان يطوف بالبيت ويقول: (اللَّهُمَّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي) ولا يزيد على ذلك، فقيل له: أهذا ما تقوله في كل الطواف؟ لماذا تخص هذا الدعاء؟ قال لهم: إذا وقيت شح نفسي لم أسرق ولم أزنِ ولم أفعل، فَقِه -رضي الله عنه- أن أصل المعاصي كلها تبتدئ من شح النفس، ومن أن الإنسان يريد حظ نفسه من كل شيء، فها هي الشريعة تمنعنا أن نشح ولو باليسير، وفهمه هذا من عمق فهم الصحابة.

فإذا خرج من نفس الإنسان الحرص على الدينا التي توجب له البخل بمنع ما هو عليه وأحيانًا الظلم بأخذ مال غيره ويوجب قطيعة الرحم والحسد وأمور أقل من ذلك وهي الهروب من التواصل مع المجتمع من أجل ألا يكلف ابتسامة لهذا ولا كلمة طيبة لهذا! ويقول: أنا لا أحب المجاملات! ولا كثرة الاختلاط! ويمكن أن يعطيه صبغة شرعية، كيف والنبي -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: (المؤمِنُ الذي يُخالِطُ الناسَ ويَصبِرُ على أذاهُمْ، أفضلُ من المؤمنِ الَّذي لا يُخالِطُ النَّاسَ ولا يَصبرُ على أذاهُمْ)[18]!! كيف و(تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ)[19] و(الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ)[20]!! كيف تمنع نفسك من أبواب الخير؟! والشح يكون حتى في الكلمة الطيبة والابتسامة، وقد وصف الله في سورة الأحزاب أهل النفاق أنهم: {أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ} (الآية: 19) فشحهم على الخير يتضمن كراهية الخير وبغضه الذي سيأتي بالشر والقطيعة والحسد.

علينا أن نبذل جهودنا في أن نمتثل ما قال رسولنا الكريم، ونتذكر آية سورة الحشر كيف كانت المنقبة العظيمة للأنصار التي مدحهم الله بها، وهم الذين فتحوا صدورهم وبيوتهم لإخوانهم من المهاجرين -رضي الله عنهم- رغم قلة ذات يد كثير منهم، فمدحهم الله أنهم يحبون

---

[18]() أخرجه الترمذي (2507)
[19]() أخرجه الترمذي (1956)
[20]() أخرجه البخاري (2989)

من هاجر إليهم وأنهم لا يجدون في صدورهم حاجة عندما يعطونهم ومدحهم بالإيثار، وما سمعت الدنيا بمثل هؤلاء.

ننظر كيف بقي أثرهم العظيم إلى يوم الدين، ولينظر المطّلعين على أخبار الأمم وليروا كيف في مدرسة القرآن ومدرسة النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كان هؤلاء العِظام، لا تشح وعالج القلب من حب الدنيا، ولنأتمر بأمر رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- لما قال: (يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ) ما أعظم هذا النداء، (يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ) ما أطيب هذه التسمية، (لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا) لا تحقري أبدًا ما أعطاك الله وأعطي ما تيسر لك واطلبي مثلما كان يطلب الصحابي الجليل عبد الرحمن ابن عوف -رضي الله عنه-: (اللَّهُمَّ قِنِي شُحَّ نَفْسِي).

كانت هذه فرصة للكلام عن تزكية النفس، نسأل الله أن ينفعنا بهذا الكلام ويكون لنا وليس علينا -اللهم آمين-.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء الخامس والثلاثون

الإثنين: 17رجب 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا أن جعلنا من أهل دين الإسلام القويم وشرح صدورنا لمتابعة نبينا الكريم، وفتح علينا في هذا العلم، نسأله أن يفتح علينا فتوح العارفين -اللهم آمين-.

كنا ولا زلنا نتدارس كتاب: (الادَب المُفرَد) الذي جمع فيه البخاري الأحاديث التي وردت عن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وفيها تقويم لسلوك الإنسان توقفه على الصراط المستقيم لو كان حقًا يريد الحق ويريد الصراط المستقيم، وكل ما درسناه فيما مضى من هذه الأبواب عرفنا فيه قيمة الرحمة وكيف أن الإسلام دين يقوم على الرحمة؛ يأمرنا بالرحمة ويحضنا عليها ويأجرنا أيضًا عليها، وهذه الصفة موجودة في قلوب الناس ما دام أنهم باقون على فِطرهم، لكن ما أن يتوحشوا وتكون الدنيا عندهم مقصودة ويحولون الدنيا كلها إلى سوق يريدون أن يربحوا فيه هنا ويتاجر بعضهم ببعض ويتركون التجارة مع الله إلا وتنقلب هذه المشاعر، ويصبح الإنسان متوحشًا، ويصبح ينظر لكل الأشياء بنظرة رأسمالية تجعله يرى الدنيا سوقًا لأجل أن يربح فيها يمكن أن يبيع أخوه وأبوه ولا يبالي، ولا يرى في ذلك عيبًا! فهذا الدين القويم يرد العالمين إلى فطرتهم السوية وإلى السلوك القويم لكن يا ليت قومي يعلمون كم تفضل الله علينا بهذا الشرع المفترض أن يكون حظنا من هذا الشرع الافتخار والاعتزاز، نتعلمه ونعتز به ونعمل به ونُرشد إليه -والله المستعان-.

كنا في هذه الوصايا التي تساعد المؤمن على حسن التعامل مع الجار، ووصلنا إلى باب: (68) فيه باب: (شِكَايَةِ الْجَارِ) نسمع الحديث أولًا ثم نبدأ في مناقشته إن شاء الله ..

68- بَابُ شِكَايَةِ الْجَارِ

124- حَدَّثَنَا عَلِيُّ ابن عَبْدِ اللهِ، قَالَ: حَدَّثَنَا صَفْوَانُ ابن عِيسَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابن عَجْلاَنَ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّ لِي جَارًا يُؤْذِينِي، فَقَالَ: (انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ). فَانْطَلَقَ فَأَخْرج مَتَاعَهُ، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَقَالُوا: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: لِي جَارٌ يُؤْذِينِي، فَذَكَرْتُ لِلنَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم-، فَقَالَ: (انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَتَاعَكَ إِلَى الطَّرِيقِ) فَجَعَلُوا يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ! الْعَنْهُ، اللَّهُمَّ! أَخْزِهِ. فَبَلَغَهُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ، فَوَاللهِ! لاَ أُؤْذِيكَ.

فِقهُ الحديث:

1) توجيه الرسول -صلّى الله عليه وسلّم- إلى اختيار الحكمة الشرعية لدفع العداء وسوء المعاملة.

2) تأثير الأسلوب الحسن والسياسة الدقيقة أوقع في النفوس.

3) المعاملة السيئة مع الجيران لا يرضاها العقلاء والأكارم.

125- حَدَّثَنَا عَلِيُّ ابن حَكِيمٍ الأَوْدِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي عُمَرَ، عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: شَكَا رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- جَارَهُ، فَقَالَ: (احْمِلْ مَتَاعَكَ فَضَعْهُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَمَنْ مَرَّ بِهِ يَلْعَنُهُ). فَجَعَلَ كُلُّ مَنْ مَرَّ بِهِ يَلْعَنُهُ، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- فَقَالَ: مَا لَقِيتُ مِنَ النَّاسِ؟ فَقَالَ: (إِنَّ لَعْنَةَ اللهِ فَوْقَ لَعْنَتِهِمْ). ثُمَّ قَالَ لِلَّذِي شَكَا: (كُفِيتَ) أَوْ نَحْوَهُ.

فِقهُ الحديث:

1) انظر الحديث رقم/124.

كِلا الحديثان يدل على أمر مهم عقد البخاري الباب لأجله وسمى الباب: (بَابُ شِكَايَةِ الْجَارِ) وحقوق الجار -كما مر معنا في الأبواب السابقة- حقوق عظيمة في الإسلام وكان النبي -صلّى الله عليه وسلّم- كثيرًا ما يؤكد على عظم حق الجار وأهميته.

في هذا الحديث يحكي الصحابي أبو هريرة وفي الحديث الذي يليه يحكي أبو جحيفة -رضي الله عنهما- عن هذا الموقف الذي ظهر فيه خطورة إيذاء الجار، كان يشكو جاره فيؤذيه ويظلمه -وسيأتينا بعد أن ننتهي من مجمل الحديث كيف يكون الإيذاء- فقال النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: ارجع إلى دارك واصبر على جارك، لعله ينتهي عن إيذائك -والرواية هنا مختصرة- الرواية الثانية أن الرجل أتى مرتين أو ثلاثة وفي كل مرة يأمره النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بالرجوع والصبر على الجار، الحديث هنا مروي باختصار فلا تظن أن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قال له مباشرة أن يفعل هذا الفعل بل أمره بالصبر مرة ومرتين وثلاث.

في الرواية حتى عاد الرجل في ذلك مرتين أو ثلاثة وفي كل مرة يأمره النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بالرجوع والصبر على جاره، حتى عاد مرة أخرى يشكو ظلم جاره وإيذاءه الذي لا ينتهي، فقال له النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وهذا بحكمته -صلّى الله عليه وسلّم- وبعلمه بنفوس الخلق وأن مثل هذا إذا وعظ لا يتعظ، والصبر ما دام لم يأتِ معه بنتيجة إذًا هو في المقابل لا يستجيب ما دام أن الأمر لم يصل إلى حده ولم يأتِ ما يقرعه ويجعله منبوذًا، فأمره

النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أن ينطلق ويخرج متاعه إلى الطريق، وفي الرواية الثانية: (احْمِلْ متاعَك فضَعْه على الطريقِ)[21]، وفي الرواية الثالثة: (اطْرَحْ مَتَاعَكَ في الطَّرِيقِ)[22] أي: ألقه وارمه، كل مقتنياته وأثاث منزله يخرجها في الشارع أمام المارة قريبًا من بيته، فلما أخرج الرجل متاعه إلى الطريق جعل الناس يسألون عن سبب ما به، اجتمع عليه الناس قالوا له: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني فذكرت ذلك للنبي -صلّى الله عليه وسلّم- فقال لي النبي انطلق فأخرج متاعك إلى الطريق، لما أخرج متاعه إلى الطريق وعرف الناس أن الجار يؤذيه وأن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- هو الذي أمر بإخراج متاعه إلى الطريق، فجعل الناس يلعنون هذا الجار المؤذي ويدعون عليه، ويقولون: فعل الله به ويسألون الله أن يعاقبه على فعلته، وأن يلعنه على فعلته كما أخرج الجار من بيته، يخرجه الله من رحمته، وهذا دليل على أنه ارتكب جريمة عظيمة، وأن الناس استهجنت هذا الشيء، فلما رأى الجار المؤذي ذلك من دعاء الناس عليه ولعنتهم، جاء إلى جاره المظلوم فقال: ارجع إلى بيتك، لا ترى مني شيئًا تكرهه.

لما كان الأمر بينه وبين الجار والناس لا يشعرون بما يفعل كان الجار مستقوٍ على جاره ويؤذيه والجار أضعف أو أنه حابس نفسه عن الإيذاء طاعة لله، فظن الجار المؤذي أن هذا الأمر سيبقى ويبقى هو مستورًا، والأصل أننا إذا وجدنا أحد يرتكب ذنب أثره على نفسه نتركه مستورًا ولا نتقصى لكن عندما نصبر عليه ويتعدى أكثر من مرة، مثل هؤلاء لا بد من أن يُؤدبوا بالطريقة المناسبة لهم، فعرف الرجل قبح ما يفعل وعرف أن الناس كلهم يستقبحون هذا الفعل وأن هذا ليس دليلًا على القوة والقدرة والشخصية القوية، إنما هذا دليل على السفاهة فطلب من جاره أن يرجع إلى داره ووعده ألا يرى منه شيء يكرهه أبدًا، ولن يؤذيه مرة أُخرى. فكان النبي -صلّى الله عليه وسلّم- أدرى بنفوس الخلق وبسياساتهم وهذا مما علّمه الله إياه.

هذا الحديث يدل دلالة أكيدة على عظم حق الجار وعلى التحذير من إيذائه خصوصًا لو لاحظنا -كما ذكر الشارح- أن الناس كلهم استنكروا هذا الأمر، فالمعاملة السيئة مع الجيران، ومع الخلق كلهم لكن الجيران خاصة لا يرضاها العقلاء والأكارم؛ لأن الجيرة أمر يجعل الإنسان ملزم نتيجة أن هذا سكناه وهذه داره؛ لذلك في الحديث استعاذ النبي من (اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بكَ من جارِ السُّوءِ في دارِ المُقامةِ) يعني في المدن، وفي الحديث: (فإنَّ جارَ الباديَةِ يتحوَّلُ) المقامة يعني: دار الإقامة، فأنت عندما تقول: اللهم إني أعوذ بك من جار السوء يعني: أستعيذ بك من كل مجاور يجاورني في بيتي ويجمع الصفات الدنيئة والأخلاق الرذيلة لأن جار المقامة أذاه دائم، هذا بيتي أسكن فيه، عندما يكون جاري جار سوء معناه طال علي السوء، فلا حل إلا أن يتحول أحدنا، ويكون الإنسان قد بنى بيته وأثّثه ومصالحه قريبة وأشياؤه موجودة هنا، فحين

---

[21]) صححه الألباني.
[22]) أخرجه أبو داود (5153)

يكون الجار سيئًا هذه مصيبة عظيمة؛ لذلك يقول النبي -صلّى الله عليه وسلّم-: (فإنَّ جارَ الباديَةِ يتحوَّلُ) لأن مدته قصيرة ليس عظيم الضرر يمكن أن يتحول؛ لذلك الاستعاذة بالله والالتجاء إليه والاستعانة به سنّة، واعتبر جار السوء معاناة لذلك تستعيذ بالله من هذا الجار؛ لأن بسببه يمكن أن تكون حياة الناس شقاء، فالمعاملة السيئة مع الجيران لا يرضاها العقلاء والأكارم، وبلغ الحال أننا نستعيذ فنبث شكوانا وهمنا لربنا وأيضًا نتصرف معه، لكن التصرف ما كان أن أبادله السوء لكن آتيه من المكان الذي له تأثير، فيمكن أن يكون اليوم يوجد كثير من الحواري أو الأحياء لها عمدة أو لها مجلس حي أو لها أي نوع من التنظيمات، فيمكن في مثل هذه التنظيمات يطلب أن ينصح الناس في جيرانهم وتضرب أمثلة على الإيذاء، ويمكن أن يطلب من خطيب الجمعة أن يتكلم، أو أمور يتدخل فيها الغير لأجل أن يحصل إصلاحًا وإبعادًا.

جار السوء في دار المقامة يمكن أن يكون الزوج أو الخادم أو الصديق الملازم أو الأخ أو الأخت، فهؤلاء عندما يكونون بهذه العلاقة ويكونون مصرين على أحوالهم ومهما حصل نصح ووعظ وهم مصرين فالحقيقة إذا ما استطاع الإنسان أن يتحول من عندهم ويخرج بأي طريقة، فيبذل جهده، مع الاستعاذة والاستعانة برب العالمين وكثرة الدعاء في كفاية الشر، أن يتحاشاهم، لا يصل إلى حد مقاطعتهم لكن يتحاشاهم ويسد الثغرات التي ممكن من خلالها أن يحصل إيذاء، وأيضًا الصبر الجميل على هؤلاء خصوصًا لو كانوا أقارب، والصبر الجميل هو النصيحة لأن هذه من الابتلاءات التي يبتلى بها الخلق.

نود أن ننبه أن هناك أنواع من الإيذاء يمكن أن نقع فيها ولا نشعر، أحيانًا كثيرة أكون أنا بيت العائلة أو أنا الإنسان الذي بيتي مفتوح دائمًا، وعندي جلبة وأصوات، وعندما يخرج أبنائي أو ضيوفي من عندي تكون هناك جلبة وأصوات عند الباب، وأحيان كثيرة يكون هناك سهر وأنت لا تستوعب الوقت، ويكون هذا وقت ينام الناس فيه وأحيانًا يكون هذا في ليلة الجمعة ينام الأتقياء لأن غدًا يوم عبادة، فنحن يمكن أن نقوم بهذه الأمور دون أن نشعر، وهناك أشكال كثيرة من الأذية لا بد من مراجعتها والتنبه لها ونحاول بقدر المستطاع عندما تكون هناك أمور غاية في الضرورة أن نختار لها وقت أو مكان مناسب، أو نعتذر عن الضرر الذي يمكن أن يحصل.

مثلًا.. العامل الذي يأتي لتكسير شيء أو لإصلاح شيء ما ناسب أن يأتي إلا في الساعة الثالثة ظهرًا، الرجال يعودون الآن من دوامهم للراحة وهذا إيذاء لهم، إما تُؤخره أو تعتذر للجيران وتقول: غدًا عندنا موعد مع الرجل لأن بيتنا فيه تضرر فسامحونا، لا بد أن تشعر أنك لا تعيش وحدك، فلا تأخذ قراراتك كما اتفق!

فجأة نكون نائمين ويقرر أحد أن يركب لوحة في الجدار ويأتي بالجهاز الذي يثقب الجدار والذي صوته يصل إلى آخر العمارة لأن هذا الوقت الذي هو متفرغ فيه، والناس يكونون مليئين نوم أو تعب، فيؤزمهم.

المشكلة تكمن في كون أن التفكير يكون محدود بدون قصد إيذاء، أن هذا يوم إجازتي أو يوم تفرغي وخرج أبو العيال من البيت وأريد أن أعلق ساعة، ولا أنتبه أن أبو عيال الجيران باقٍ! أحيانًا الشاكي يكون له سوابق؛ يُشتكى منه هو أيضًا.

مثلًا.. نحن في عمارة عدة طوابق وهناك مصعد فيقول هؤلاء يحبسون المصعد فوق، وهو عندما يخرج يودع زوجته عند الباب أو يوصي أولاده الوصايا العشرة، فيعطل المصعد هو أيضًا مثلما يفعلون. فنحتاج إلى صبر وإلى تصور الناس الذين حولنا، والله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الحقوق كثيرة وما لنا إلا أن نطلب الله أن يعيننا على أداء الحقوق، ونصبر على من لم يؤدِ لنا حقوقنا ونتخذ الدعاء أعظم سبب لكفاية الشر والاستعاذة بالله.

ننصح أنفسنا أن نتقي الله ونكون نحن من وقع عليه الأذية ولا نكون نحن من يؤذي الجيران، والأفضل ألا أؤذي ولا أحد يؤذيني، لكن حين أكون أنا المؤذية لا ندري ما يكون يوم القيامة، لكن إذا كان الأذى واقع علي فيكون كفارة لي.

نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يغفر لنا ذنوبنا ويصلح لنا عيوبنا ويقينا من شح أنفسنا -اللهم آمين-

نكمل في لقائنا القادم إن شاء الله.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

اللّقاء السادس والثلاثون

الثلاثاء: 18رجب 1442 هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا أن جعلنا من أهل هذا الدين العظيم الذي لا تعد محاسنه ولا تحصى، والذي أمر الخلق بالرحمة وأمرهم بالتواصل، وأمرهم بترك التحاسد والتباغض، دين يعلم محاسنه من كان من العاقلين، من عرف الدنيا وأحوالها، عرف كيف أن هذا الدين العظيم أمرنا بخير ما يؤمر به الخلق؛ لذا كلما زدنا علمًا كلما زدنا يقينًا برب العالمين، كلما زدنا علمًا كلما عرفنا صدق رسولنا الكريم -صلّى الله عليه وسلّم- وكيف أنه مبعوث من عند رب العالمين.

لا يمكن أن تكون هذه الشريعة بكل تفاصيلها إلا شرع من عند رب العالمين، وهنا نود أن نتذكر أن كل هذه الأحاديث التي نسمعها عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وكل هذه الأخبار التي تحثنا على مكارم الأخلاق يجب التعامل معها بيقين، ومعرفة أن الإنسان يؤجر على امتثاله هذه الأوامر وعلى تصديقه لها، غير أجر الممارسة، ويؤجر على امتلاء قلبه بحسن أوامر الإسلام والشعور بمحاسن الدين غير أجر الامتثال.

فلنستنهض نفوسنا جميعًا لنتأمل هذه الأوامر العظيمة ونرى ما أثرها على السلوك الإنساني، ما أثرها على حياة الخلق، فمحاسن الدين مما يزيد المسلمين إيمانًا، وكنا ولا زلنا نتكلم عن علاقتنا بالجيران، وكيف أُمرنا أن نتعامل مع الجيران حتى حال اعتدائهم، ووصلنا إلى هذا الباب الذي فيه أن الجار قد يضطر جاره إلى أن يشتكيه، نقرأ الحديث الأخير في الباب الثامن والستون ثم نناقش مسألة شكاية الجار..

126- حَدَّثَنَا مَخْلَدُ ابن مَالِكٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو زُهَيْرٍ عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابن مَغْرَاءَ، قَالَ: حَدَّثَنَا الْفَضْلُ -يَعْنِي: ابْنَ مُبَشِّرٍ- قَالَ: سَمِعْتُ جَابِرًا يَقُولُ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلّى الله عليه وسلّم- يَسْتَعْدِيهِ عَلَى جَارِهِ، فَبَيْنَا هُوَ قَاعِدٌ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ إِذْ أَقْبَلَ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- وَرَآهُ الرَّجُلُ وَهُوَ مُقَاوِمٌ رَجُلًا عَلَيْهِ ثِيَابٌ بَيَاضٌ عِنْدَ الْمَقَامِ حَيْثُ يُصَلُّونَ عَلَى الْجَنَائِزِ، فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ! مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي رَأَيْتُ مَعَكَ مُقَاوِمَكَ عَلَيْهِ ثِيَابٌ بِيضٌ؟ قَالَ: (أَقَدْ رَأَيْتَهُ؟). قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: (رَأَيْتَ خَيْرًا كَثِيرًا، ذَاكَ جِبْرِيلُ -صلّى الله عليه وسلّم- رَسُولُ رَبِّي، مَا زَالَ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ جَاعِلٌ لَهُ مِيرَاثًا).

شرحُ الكلمات:

- يستعديه: أي: يشكو عدوانه جاره.

فِقهُ الحديث:

1) انظر شرح الحديث رقم/101.

هذا الحديث -كما هو واضح- فيه قصة عن جابر -رضي الله عنه- أن رجل جاء النبي -صلّى الله عليه وسلّم- يشكو عدوان جاره، وهذا يشبه ما سبق في كون أن الجار قد يحصل منه أذية لجاره، فهل يصح أن نشتكي الجار؟ أم أن الأولى أن نصبر عليه؟ لأنه مر معنا في الأحاديث الماضية في هذا الباب أن الرجل ذهب فشكى إلى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- وأمره النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بالصبر -كما في الرواية الثانية- ثم عاد فاشتكى ثلاثًا إلى أن أمره النبي -صلّى الله عليه وسلّم- بما أمره به من أن يخرج متاعه إلى الشارع من أجل أن يحصل بيان بمقدار أذية الجار.

الشريعة أمرتنا بأن نصبر على الجار، نعم! لكن ما منعتنا إذا وصل الأمر حد الإيذاء الشديد أن نشتكي الجار لمن يستطيع أن يرد شر الجار عنا.

ولذا، إذا حصل وكبرت المدن وأصبحت تجمع بين أناس كثر، ربما يكونون مختلفين في ديانتهم وأخلاقهم والتزامهم بدينهم، فهل يصح أن يسن قانون لأجل معاقبة الجار إذا آذى جاره؟ الظاهر أن نعم، يصح أن يسن قانونًا، والوصول إلى هذا القانون لا يكون مباشرة، وإنما يكون بعد محاولات ومحاولات في الإصلاح.

يمكن أن يأتي سؤال أن هؤلاء جيراني أنا أحسن إليهم وهم يتعمدون الإساءة، وربما وصل حالهم أنهم يحسدون وأنهم يستهزؤون، فهل أنا في حِلٍّ من حقوقهم؟ لأن هذه الحقوق يحاسب عنها الإنسان يوم القيامة، فهل أنا في حل من حقوقهم؟

هنا لا بد أن نعرف أن أذى الجار الذي يبتدئ بالأذية ويفسد على الناس دنياهم يدخل في شيء من كبائر الذنوب، وقد مر معنا أنه لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه، وفي الرواية الأخرى: والله لا يؤمن الذي لا يأمن جاره بوائقة، معنى ذلك أن هذه العلاقة التي بين الجيران غاية في الخطورة، ويمكن أن تسبب، إذا ما احترمها الإنسان، أن يدخل الإنسان في كبائر الذنوب، وهذا أمر صعب!

نعود إلى الأمر الأول ..

هذا الجار يرتكب بعض الأمور المزعجة كأن يربي كلابًا مثلًا ويسبب إزعاجًا لجميع السكان، أو أنه يربي حمامًا، وهذا الحمام يؤذي الناس في سكناهم ومكيفاتهم ونظافة دورهم،

وقد يموت بعضه فيجمع حشرات، فهل يجوز أن نذهب فنشتكيه خصوصًا في الأماكن التي لها سلطة إذا لم يتجاوب؟

الجواب: نعم، إذا حصلت الأذية يجوز، فإن النبي -صلّى الله عليه وسلّم- قد استقبل شكاية الجار من جاره، وفي الحديث الذي قرأناه أن الرجل أتى يستعدي النبي -صلّى الله عليه وسلّم- على جاره، إذًا يصح أن نشتكي لو حصل تعدٍ واضح مثل هذه الأمثلة التي ضربناها وغيرها.

لو حصل تعد غير واضح مثل الحسد والاحتقار والاستهزاء، خصوصًا لو كان الناس مختلفين في مقدار التزامهم بالدين، فيستهزؤوا بمظهر الجيران مثل لحية الوالد أو عباءة الأم أو تستر البنات، هذا أمر مؤذٍ جدًا، فلا نبقى على صلة وود يؤدي إلى نقل كلامهم إلينا ويؤدي إلى تأثر أبنائنا منهم، لكن لا نؤذيهم أبدًا فحقوق الجار على جاره من آكد الحقوق، وأذية الجار من الكبائر، والناس اليوم شديدو الجهل بهذا الأمر خصوصًا في زمن ضعُفت فيه الروابط والصلات وضُيعت فيه الحقوق والواجبات، وأسوا ما في الموضوع أننا بدأنا نشعر أن المادية والفردية طغت على الناس، فتحقيق كمال الإيمان لا يكون إلا بتجنب أذية الجار، فإذا آذى في أمر ظاهر وأخذنا كل الطرق من أجل أن نتفاهم معه وما قبل فتصح شكايته، أما في الأصل نستر عليه ولا نفضحه أمام الناس وعندما تأتي مناسبات نهنئه ونتعاطف معه في الحزن، لكن إذا ظهر شره وما استجاب لأي نصح فهنا لا مانع من شكايته إلى السلطات مثلما حصل لما اشتكى الرجل للنبي -صلّى الله عليه وسلّم-.

أما إذا كان الإيذاء خفي فلا تستطيع أن تقول يستهزئ بي أو ينقص مني أو تظهر آثار الحسد أو أعطيه الشيء فيلقيه، أمور تكون بين الناس ولا يطلع عليها الخلق فعلينا كف الأذى.

ننتقل إلى الباب التالي ونقرأه ليزداد بيان هذا الأمر ..

69- بَابُ مَنْ آذَى جَارَهُ حَتَّى يَخْرُجَ

127- حَدَّثَنَا عِصَامُ ابن خَالِدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَرْطَاةُ ابن الْمُنْذِرِ قَالَ: سَمِعْتُ، يَعْنِي أَبَا عَامِرٍ الْحِمْصِيَّ، قَالَ: كَانَ ثَوْبَانُ يَقُولُ: (مَا مِنْ رَجُلَيْنِ يَتَصَارَمَانِ فَوْقَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، فَيَهْلِكُ أَحَدُهُمَا، فَمَاتَا وَهُمَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمُصَارَمَةِ، إِلاَّ هَلَكَا جَمِيعًا، وَمَا مِنْ جَارٍ يَظْلِمُ جَارَهُ وَيَقْهَرُهُ، حَتَّى يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْ مَنْزِلِهِ، إِلاَّ هَلَكَ).

شرحُ الكلمات:

- يتصارمان: أي يهجر أحدهما الآخر ويقطعان الكلام.

فِقهُ الأثر:

1) فيه الحث على إزالة الهجران والابتعاد عن المشاجرة والمقاطعة.

2) حرص الإسلام على تماسك المجتمع وتراص البنيان.

3) التحذير من سوء المعاملة مع الجيران وبيان العاقبة الوخيمة للظالمين والعادين.

هذا الأثر من ثوبان -رضي الله عنه- يبين أمر عظيم يمكن أن نغفل عنه وهو الخطر الذي يحصل من المخاصمات ومن الوصول إلى حد الهجر، ففي الأصل إذا اعتدى الجار أكون أنا في محاولة لضبط نفسي، وألا أقابل الاعتداء بالاعتداء؛ لأن من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، فإذا حصل وآذاني هو فلا أقابله بالأذية.

لذا بين هذا ثوبان أن الاثنين يتبادلان المقاطعة، والسباب والشتام، يشتم بعضهم بعض سواءً هذا كان مباشر أو كان عن طريق الوسائل، إذا مات أحدهما وهم على هذه الحال هلكا جميعًا؛ لأن هذه حقوق، سيأتون يوم القيامة ويحاسبون عليها ويكونوا قد وقعوا في الهجر والقطيعة التي هي من كبائر الذنوب.

ومثله الأصحاب والأقارب والجيران، إذا تخاصما من أجل الدنيا فوق ثلاثة أيام، أما غير ذلك من أمور الدين ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فمثل هذا له شأنه المختلف، أنت لا تبادل من يبادلك المخاصمة، إنما حاول أن تكف شرك عنه وانتظر أن يكف شره عنك.

ثم في الشق الثاني من الأثر يحصل القهر لأن الجار يتصرف تصرفات ربما لا يستطيع أن يدافع عن نفسه، يؤذي جاره بالقول والفعل، فيشتمه ويغتابه ويسبه ويفتري عليه ويشوه سمعته، فيخرج الجار يجد الناس ينظرون إليه ويخرج إلى المسجد ويجد الناس يتجنبونه فلا يدري ما فعل، وكان الواجب أن يحسن القول له وفيه والواجب أن يستر عيوبه، لكن، كما قال عبد الله ابن عمرو -رضي الله عنهما-: (إن من الفواقر: جَارَ سَوْءٍ إِنْ رَأَى حَسَنَةً غَطَّاهَا، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَفْشَاهَا).

من الفواقر يعني: من الدواهي، كأنها تحطم فقرات الظهر، تكسر ظهرك، وهذا الفعل من الجار كثير لأنه يستطيع أن يطلع على أشياء كثيرة، فيعتدي عليه ويؤذيه في ماله وسيارته، ويتعرض إلى أهله وينظر إليهم ويؤذيه في بيته وشيء من متاعه، هذا كله يأتي بالقهر للجار، ومهما شكا ربما لا يطلع الناس على حقائق الأمور، ربما كان هذا الجار ذو لسان، متكلم فيقنع الناس ويصدقوه.

أما إذا ظهرت على الجار المؤذي علامات الاستقامة من إطلاق اللحية وتقصير الثوب فالأمر أشد، عندما يخرج من هذا الذي تظهر عليه مظاهر الإيمان لجاره أذية بدلًا من أن يأمره بالمعروف وينهاه عن المنكر بكل حكمة ورحمة، يؤذيه! يكون الأمر أشد وأشد.

يقول ثوبان -رضي الله عنه- إن الجار عندما يترك منزله من جاره لأنه لا يتحمل القهر أو أن يحصل له خزي أو أن يكشف ستره إن كان حقًا أو أن يتبلى عليه بكلام إن كان باطلًا، فهذا الجار الظالم القاهر لجاره -كأن ثوبان يقول-: بشره بالهلاك، ويمكن أن يكون هذا الهلاك في الدنيا أو في الآخرة.

معنى هذا أن هذه الحقوق ليست بالهينة، الحقيقة أن الواجب أن الجار إذا احتاج إلى منفعة في دار جاره أو حائطه ألا يمنعه من ذلك إذا كان لا يضره أن يعطيه.

في هذا المجلس ندعو جميع نساء المسلمين اللاتي يسمعنّ كلام رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وكلام صحابته الكرام، رحم الله امرؤ أصلح بين الجيران إذا وجدهم مختلفين، رحم الله امرأة تحملت في سبيل الإصلاح ما تحملت، وقد ورد في الحديث: عن أنس -رضي الله عنه- أنَّ رجلًا قال: (يا رسولَ اللهِ إنَّ لفلانٍ نخلةً وأنا أُقيمُ نخلي بها فمُرْه أن يعطيَني إياها حتى أُقيم حائطي بها) هو محتاج هذه النخلة من جاره، فقال له النبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم- (أَعْطِها إياه بنخلةٍ في الجنةِ)[23] فأبى!، ما قبل -سبحان الله- وأتاه أبو الدَّحداحِ -هذا الرجل الذي له في تاريخ الإسلام ما له- فقال: (بِعْني نخلَتَك بحائطي) يعني: بمزرعتي، قال: (ففعل)، قال: (فأتى النبي -صلّى الله عليه وسلّم- فقال: يا رسولَ اللهِ إني قد ابتعتُ النخلةَ بحائطي فاجعلْها له) لمن طلبها (فقد أعطيته إياها)، فقال النبيُّ -صلّى الله عليه وسلّم-: (كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ لابِي الدَّحْدَاحِ فِي الجَنَّةِ) -قالها مِرارًا- فأتى امرأتَه فقال: (يا أمَّ الدَّحداحِ اخرُجي من الحائطِ فإني بعتُه بنخلةٍ في الجنةِ) فقالت: (قد ربحتِ البيعُ) أو كلمةً نحوها.

هذا هو الإيمان، ما أعظمه من عمل وما أجله من ثمن، أعطاه أبو الدحداح بستانًا كاملًا بنخلة واحدة ليرفع الضرر عن جاره، فكان له في الجنة أعظم وأحسن مما بذل.

يا نساء المؤمنين، يا نساء المسلمين أصلحن ما استطعتم بين الجيران، ولا تدعوا الأمر يخرج ويزيد ويتعاظم وأي بذل تبذله فهو عند الله عظيم، ولا عليكم ممن يقول لكم كان هذا المال الذي دفعته وتصدقت به على الفقراء كان أفضل، تذكر أبو الدحداح والنخلة التي له في الجنة.

فاللهم اجعلنا صالحين مصلحين، أتقياء مؤمنين بالغيب، أذكياء نتنبه للفرص ونعرف ما هي الأولويات في المواقف.

---

[23]) صححه الألباني.

بارك الله في نساء المسلمين واقبل أعمالهنّ وانفع بهنّ وأصلح لنا جميعًا قلوبنا وأحوالنا وذرياتنا، اللهم آمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

فهرس الجزء الرابع

اللّقاء الثلاثون	1
55- بَابُ الْوَصَاةِ بِالْجَارِ	2
56- بَابُ حَقِّ الْجَارِ	6
اللّقاء الواحد والثلاثون	9
57- بَابُ يَبْدَأُ بِالْجَارِ	10
58- بَابُ يَهْدِي إِلَى أَقْرَبِهِمْ بَابًا	12
59- بَابُ الأَدْنَى فَالادْنَى مِنَ الْجِيرَانِ	14
60- بَابُ مَنْ أَغْلَقَ الْبَابَ عَلَى الْجَارِ	15
61- بَابُ لا يَشْبَعُ دُونَ جَارِهِ	16
اللّقاء الثاني والثلاثون	18
62- بَابُ يُكْثِرُ مَاءَ الْمَرَقِ فَيَقْسِمُ فِي الْجِيرَانِ	19
63- بَابُ خَيْرِ الْجِيرَانِ	23
اللّقاء الثالث والثلاثون	27
64- بَابُ الْجَارِ الصَّالِحِ	28
65- بَابُ الْجَارِ السُّوءِ	31
اللّقاء الرابع والثلاثون	34
67- بَابُ لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنُ شَاةٍ	35
اللّقاء الخامس والثلاثون	40
68- بَابُ شِكَايَةِ الْجَارِ	41
اللّقاء السادس والثلاثون	46
69- بَابُ مَنْ آذَى جَارَهُ حَتَّى يَخْرُجَ	49